# مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

ربيع الأول 1441هـ – أكتوبر 2019م


## الصفحة الأولى...


**هلال الحجري**


من الشعراء الذين أثرت الثقافة العربية في شعرهم صموئيل لوفر Samuel Lover (١٧٩٧-١٨٦٨) وهو شاعر، وروائي، وكاتب مسرحي، ورسام، وكاتب أغانٍ إيرلندي. كان غزير الإنتاج في هذه المجالات الإبداعية، وقد شهد له النقاد بالعبقرية والتميز فيها، إضافة إلى أنه انتصر في أغانيه وبورتريهاته لطبقة الفلاحين والفقراء في إيرلندا.

نترجم له هذه القصيدة الرائعة بعنوان:

**العربي**

حَمّارة القيظ ظُهْرًا في الفَلا اشتعلتْ،
وراحلٌ وَصَلَ البِئْرَ التي رَغِبَا
لكنّه أمَلٌ سَلّاه، كان سُدىً
من يأمَلُ القَفْرَ والماءَ الذي ذَهَبا؟!
وإذ دعا اللهَ مُغْمًى لا حَرَاكَ به
أتاه من عَرَف الصحراءَ والعَرَبا
ما خيّب الراحلَ المسْكينَ في أمل،
وبارَك اللهُ، في قِرْباته جَلَبا
«اشْرَبْ!» فَرَغْمَ رَحيلي في بدايته
وإنّني صائمٌ أفدي الذي سَغَبا
ومَوْطني وعيالي لا أطولُهمُ
أسقيكَ ماءَ زُلالا يُطفئُ الوَصَبا
«كلّا»، ودَعْني أقضي هاهنا أجَلي
لديكَ أحوجُ منّي، قال من تَعِبا
لديكَ ذُرّيّةٌ ترجو لقاكَ غَدًا
وإنّني واحدٌ، لا طفلَ لا نَسَبا
«اشْرَبْ!» ولا تخشَ إنّي راجعٌ أبدًا
ذُرّيّتي آلَفَتْني في الرحيلِ أبًا
ومَنْ أتى اليومَ بي يُنجيكَ من عَطَشٍ
سيجعلُ الدرْبَ لي في البيدِ مُرْتقَبا


hilalalhajri@hotmail.com

• أطباء وفلاسفة
• كلير كرينيون ودافيد لوفيبفر

• الاحتكاكات التجارية العالمية
• رن تسه بينغ

• التيسير الكمي للناس
• فرانسيس كوبولا

• الخروج من الفوضى..
• جيل كيبل

• معاناة القرون الوسطى
• مجموعة مؤلفين

• الوجه الحقيقي لفيسبوك..
• سيريل سام وبارانجوي غوها

• تخطيط وتطوير المجتمعات..
• راسم خمايسى

• الشرق الأوسط
• كارولين رولانتس

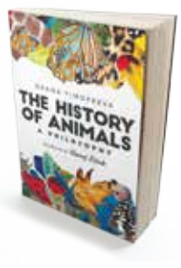

• تاريخ الحيوانات
• أوكسانا تيموفيفا

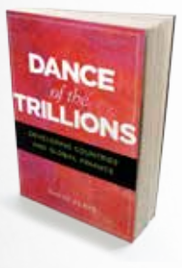

• رقص التريليونات
• ديفيد ليوبين

## إصدارات عالمية جديدة

صفحة 22 و 23

# أطباء وفلاسفة
# كلير كرينيون ودافيد لوفيبفر

**سعيد بوكرامي ***

ارتبط الطب بالفلسفة، والفلسفة بالطب منذ العصور القديمة، وقد تجلى ذلك في علاقتهما الجدلية بين توافق وتداخل وتقاطع وتعارض. لقد استغرق الطب عدة قرون للوصول إلى المستوى الحالي من المعرفة، حتى أصبح انفصال الطب عن الفلسفة ومبادئها أمرا واقعا في عصرنا الحديث.

وقبل أن يحدث هذا الانفصال بينهما، كانت العلاقة بين هذين التخصصين قوية ومتضاربة ومتقاربة في كثير من الأحيان. ولسبر هذا التاريخ من العلاقات الدينامية، يقترح علينا كتاب «أطباء وفلاسفة» الصادر حديثًا خمس عشرة دراسة رصينة تركز على بعض الشخصيات المؤثرة في المجالين نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أفلاطون، أرسطو، جالينوس، المدارس التجريبية والمنهاجية، الرازي، ابن سينا، ابن رشد، القرن السادس عشر الإيطالي، لوك، كانط، كابانيس، والأطباء الفلاسفة في الجمهورية الثالثة، وكانغيليم أو ياسبرس. وبذلك يسمح لنا بإعادة اكتشاف أفكار مفكرين تناولوا العلاقة بين المجالين وتحيزوا إلى أحدهما، لأننا لسنا معتادين على دراسات لوك أو كانط كمفكرين كبيرين في مجال الطب.

تناولت فصول الكتاب المختلفة العلاقة بين الفلسفة والطب من وجهة نظر معرفية، بمعنى أنها كانت مهتمة بما أنتجه الفلاسفة من منطوق معرفي حول الوضع العلمي للطب، لا نتحدث هنا، على سبيل المثال، عن مبادئ الفلسفة الأخلاقية التي يجب على الأطباء احترامها أو عدم احترامها، ولا نتساءل عما إذا كانت الفلسفة يمكن أن تكون بمثابة علاج عضوي أو علاج روحي. السؤال هو: هل الطب علم؟ إذا كان الأمر كذلك، أي نوع من العلم؟ هل هو علم مستقل لا يحتاج إلى الفلسفة أم العكس؟ هل مطلوب من الفلسفة تقديم مبادئ خاصة بالطب؟

بالنسبة لوضع الطب، يمكننا، على سبيل المثال، مقارنة أفلاطون وابن رشد، لأن أيا منهما لا يجعل الطب علمًا دقيقًا. وإنما يتعلق الأمر بممارسة، وبالتالي بما هو غير متوقع، لأن موضوعه لا يعتمد فقط على القياس أو الحساب. بالنسبة لابن رشد، فإن فن الطب هو فن عملي يعتمد على مبادئ حقيقية، نسعى من خلالها إلى الحفاظ على صحة الجسم. ليس الغرض بالضرورة من هذا الفن العلاج، بل القيام بما هو ضروري وفقًا للإجراء المناسب وفي الوقت المناسب، لأن الطب لا يتعامل فقط مع الأرقام، فهناك أحيانًا فجوة في الطب بين الهدف والشفاء والنتيجة. هذا لا يعني أن الدواء عبارة عن روتين بسيط، أو شيء يمارس بشكل أعمى، متبعا قواعد غير معروفة. إنه فن، لأن الطبيب لديه معرفة حقيقية، فهو يعلم أن العلاج من المرجح أن يشفي من هذا المرض أو ذاك، وهو يعرف السبب. إذا كان الرابط الذي يجمع الطب اليوم بالفلسفة يتعلق أساسًا بالأخلاق، فقد ركز الحوار بين التخصصين أولاً على الحالة المعرفية للطب، هل أفضل طبيب يجب بالضرورة أن يكون فيلسوفا؟ ماذا يمكن أن تتعلم الفلسفة من منهجية الطبيب؟ هل الطب تشخيص الحالة الفردية أم هو علم أو كلاهما؟

تشير هذه الدراسات إلى أن المأسسة الحالية لفلسفة الطب يصاحبها أحيانًا نسيان للأصول التاريخية للتفكير الذي صاحب صياغة المعرفة الطبية. إن مقاربة الطب تقود الفلسفة أيضًا إلى استدعاء مفهومها كطريقة للحياة، أي مسألة تحسين رفاهية وصحة الإنسان، التي تنشأ بعد ذلك، في بيئة تقتحمها تقنيات علاجية جديدة تتغير باستمرار.

كما يتساءل هذا العمل الجماعي عن العلاقة بين الفلسفة والطب «في حقل نظرية المعرفة بدلاً من الأخلاق» (ص ٩). يهدف هذا الانحياز إلى الابتعاد عن الأدبيات الضخمة حول أخلاقيات البيولوجيا لصالح التفكير في «الطب، ووضعه، وطرقه، وعلاقته بمجالات المعرفة الأخرى» ( ص ١٠). ولهذا المشروع الفكري بعدان: البعد الأول يهدف إلى تحديد ما إذا كان الطب مجالا مستقلا أو تابعا لأشكال أخرى من المعرفة (الفلسفة، العلوم الطبيعية، الفيزياء). والبعد الثاني، ينحصر في التفكير في نوع العقلانية الخاصة بالطب، والتي ليست علمًا ولا فنًا.

تعتمد الدراسات مقاربة كرونولوجية بحيث نجد القسم الأول يبدأ من أفلاطون إلى بداية العصر الحديث، ومخصص لدراسة النصوص القديمة وتلقيها في العالمين الغربي والإسلامي. في البداية يبرز توماس أوفري أنه حسب أفلاطون، تُمارس الممارسة الطبية في عالم حساس وشكاك وعشوائي، وهو ما يفسر لماذا يمكن أن يواجهه الفشل، رغم اعتماده على النظريات الحقيقية (ص ١٩-٤٩). ثم، يؤكد دافيد لوفيبفر غموض موقف أرسطو فيما يتعلق بالطب. من ناحية، يلح أرسطو على الهوية المتشابهة بين الأطباء «الأكثر فلسفة» وبين علماء الطبيعة «الأكثر تميزا». من ناحية أخرى، فإنه يعترف بخبرة الفيزيائيين فيما يتعلق بالصحة والمرض مع التأكيد على الفصل بين الطب والفيزياء (الصفحات ٥١-٨٣). علاوة على ذلك، يجادل بيير بيليجرين بأن الأطباء التجريبيين هم الوحيدون في العالم القديم الذين يستحقون المصطلح «إيجابي» لأنهم سعوا إلى انتصارات بلاغية أقل من النجاحات العلاجية (الصفحات ٨٥-١٠٧). المقالات الثلاثة التالية مخصصة لجالينوس وشراحه ودارسيه. أولاً، يوضح فيرونيك بودون ميلو أن هذا الأخير يعتبر الفلسفة أمرًا لا غنى عنه بالنسبة للأطباء لأنها تعلّم القدرة على النقاش والجدل (الصفحات ١٠٩-١٢٨). ثانيًا، يؤكد ريكاردو تشيارادونا على أهمية المفاهيم الشائعة واللغة العادية في تطور الطب عند جالينوس: حسب طبيب مدينة بيرغامون، فإن المعرفة العلمية ليست تفسيرًا منطقيًا بسيطًا للحس السليم، لكنها لا تستطيع أيضا أن تعارضه صراحة (ص ١٢٩-١٤٥). وثالثًا، تهتم بولين كوتشيت بفكر أبي بكر الرازي (٩٢٥ م)، الذي توسع في الإرث الطبي لجالينوس من خلال ربطه بالميتافيزيقيا ( ١٤٧- ١٦٩ ص). بينما يوضح جويل تشاندلير أن الطب عند ابن سينا ( ١١٩٨ م) يخضع للعلوم الطبيعية (ص. ١٧١-١٩٥). ويظهر روبرتو لو بريستي ( ١٩٧-٢٢٣ ص) وجهة النظر هذه حول الطب باعتباره خاضعًا للفلسفة الطبيعية بين المعلقين الإيطاليين لأرسطو في القرن السادس عشر،

بينما يشرح أديلينو كاردوسو ذلك من خلال تجربة رودريغو دي كاسترو (١٥٤٦ م). -١٦٢٧ م)

وترتبط الجوانب البنيوية والمنهجية للنقاش بأن الطب لا ينفصل عن الفلسفة باعتبارها انعكاسا أخلاقيا وعمليا صارما للتفكير، وهذا يبرز تفوقه على القانون (ص ٢٢٥-٢٤٤). كرست المساهمات التالية، بحثها حول النصف الثاني من العصر الحديث، الذي يتميز بانعدام التواصل بين الطب والفلسفة. بينما تشير كلير غرينيون إلى أن الممارسة الطبية يمكن أن تغذي التفكير الفلسفي، بحجة أن «تفكير لوك حول حالة التنوع قد لعب، بلا شك، دورًا في تعامله مع مشكلة التنوع والمعتقدات الدينية »(ص. ٢٤٥-٢٦٩، اقتباس من الصفحة ٢٦٧).

يبين بعد ذلك، ستيفاني بوشنو أن كانط حاول حلّ التوتر بين الطب والفلسفة من خلال تطوير نظام غذائي يُعرف باسم «فن العيش»، محاولا التوفيق بين التخصصين (الصفحات ٢٦٩-٢٩٣). أما ماري غايل، فتقترح أيضًا تحليلًا لكيفية تلقي كابانيس (١٧٥٧-١٨٠٨) للصيغة الهيبوقراطية «نقل الفلسفة إلى الطب والطب إلى الفلسفة» (ص. ٢٩٥-٣١٩). تتساءل الباحثة عن «التحالف المعرفي» الذي اقترحه الطبيب الفرنسي: « يجب السماح لكليهما بأن يصبحا ما ينبغي أن يكونا عليه: فن للشفاء مبني على أسس المعرفة الناتجة عن الملاحظة المنطقية أي أنثروبولوجيا متجذرة في المعرفة الفزيولوجية للإنسان »(٣١٨).

فيما يتعلق بالفترة المعاصرة، فقد اهتمت ستيفاني دوبوي وتيبو تروشو بمهن الفلاسفة الطبيعيين الذين أصبحوا أطباء نفسيين في النصف الأول من القرن العشرين مشددين بشكل خاص على الدور الرئيسي لثيودول ريبو (١٨٣٩-١٩١٦) في تطوير تقليد فلسفي حريص على ترسيخ علم النفس في دراسة الفيزيولوجيا وبالتالي الخروج عن الميتافيزيقا. بالإضافة إلى ذلك، يقوم أحد مساندية - جورج دوما - بتنظيم عروض لحالات في مستشفى «سان آن» المخصص لطلاب الفلسفة والطب في جامعة السوربون. وتحتل هذه الأخيرة مكانة أساسية في تكوين العديد من فلاسفة ما بعد الحرب العالمية مثل مارلو بونتي أو سارتر أو فوكو أو كانغيلهيم (الصفحات ٣٢١-٣٥٨). بالإضافة إلى ذلك، يعود بارتيليمي دوريف، الذي يعرف الفلسفة والطب بأنهما تابعان للتقنية. في هذا المقام يوضح أن هذا الموقف المتناقض يمثل إحباطًا لكل من دعاة رؤية الطب كفن يتجاوز بعده التقني تمامًا، ولأنصار

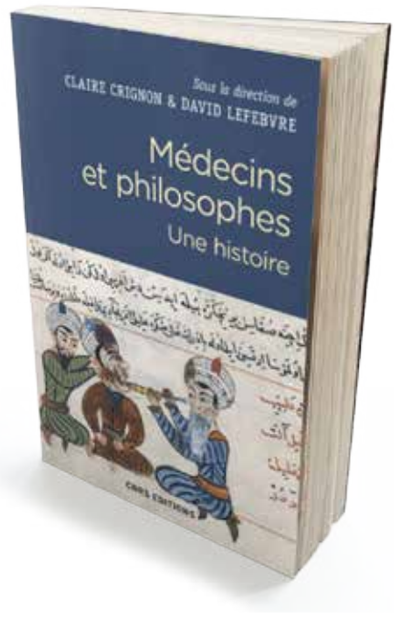


الفلسفة كممارسة أخلاقية وليس فقط كتطبيق لعقلانية خارجية مطلقة إزاء المشكلات التي تحلها. في الواقع، كما يقول المؤلف، يستخدم جورج كانغيليم صيغة محيرة لجذب انتباه القارئ وتعريف الطب والفلسفة في علاقاتهما بالحياة، الأول كأسلوب «تغيير حياة الجسم» الذي يواجه تحديات الاستجابة للمعايير الخاصة « والثانية مثل» تقنية لمناقشة صحة المعايير لممارسة الاستقلال الذاتي «(ص. ٣٦٥-٣٨٨). أخيرًا، تؤكد إليزابيتا باسو على الإرث الغامض لكارل جاسبرز في «الفلسفة الجديدة للطب النفسي»، التي تُقتبس كثيرًا ولكن غالبًا بشكل مغلوط وتشير على الخصوص إلى أن جاسبر يعتبر «ممارسة الطبيب فلسفة ملموسة» كما أن الفيلسوف الألماني شارك مفهوم الكانغيليمي حول «العلاجية كتطبيق للعلوم أو، بعبارة أخرى، كتبعية للعلوم التقنية» (ص ٤٠٨).

ينتهي الكتاب بخاتمة، تضع فيها آن ماري مولين، الطبيبة والفيلسوفة، معطيات فريدة عن«تاريخ الأنا»، وتعود إلى حياتها المهنية الطويلة والغنية في كلا التخصصين (ص ٤١١-٤٣٠). وعلى وجه الخصوص، حينما طورت فكرة أن «ممارسة الطب فلسفياً هي في البداية إدراك لعلاقتها بالزمان» (ص. ٤٢٨)، وهذا يعني التريث لإعادة تقييم مبادئ الطب في عصرها، لأن تاريخ الطب هو تاريخ متواليات النماذج المتنافسة. يحقق هذا العمل الغني والكثيف هدفه المعلن في التأكيد على العمق التاريخي للتفكير في العلاقات المعرفية بين الطب والفلسفة. ومع ذلك، فإن عملا تحريريا أوسع قد يسمح بإجراء حوار أفضل بين المساهمات، لأنها، مع بعض الاستثناءات، جزء من القضايا المذكورة في المقدمة بعمق معرفي متميز، لكنها نادراً ما تناقش الأطروحات المقدمة في المقالات الأخرى للكتاب. من الصعب أيضًا ألا نتفاجأ بقراءة أنه «حتى وقت متأخر، لم ير المؤرخون انفصالًا معرفيًا بين أبقراط وكلود برنارد» على الخصوص، عندما يكون هذا التأكيد مدعومًا بمرجع من عام ١٩٥٣ - أو كتاب يعود إلى ١٩٦٦ ويعتبر «حديثًا نسبيًا» (صفحة ٩٠) علاوة على ذلك، إذا كان الكتاب يقدم نفسه باعتباره «تاريخًا» للعلاقات بين الفلسفة والطب، فإن هذا التاريخ داخلاني بشكل أساسي أي يهتم بفلسفة العلم واجتماعيات المعرفة ويقوم على إعطاء الأسبقية للعوامل الداخلية في تحديد المعرفة والحقيقة والفعل. غني عن القول أن تحليل الخطاب له الأسبقية على تحليل المجتمعات في كتاب فلسفي كهذا، لكن قد يبدو ما كتبه كابانيس عن الثورات وإصلاح الطب بين عامي ١٧٩٥ و١٨٠٤ إشكاليا دون الإشارة، على الأقل، إلى الثورة الفرنسية وإعادة تنظيم تدريس الطب الذي جاء نتيجة لها. في بعض الأحيان يتطرق الكتاب إلى القضايا السياسية والاجتماعية ولكنها في الغالب، تبقى مهملة. وكذلك أهمية الربط المكاني لإنتاج العلوم، الذي تؤكد عليه الأنثروبولوجيا التاريخية للمعرفة. أخيرًا، من خلال إثبات العلاقة بين الفلسفة والطب، يميل الكتاب إلى اعتبار هذين المجالين واقعين متقاربين، وعلى الأقل مجالين متشابكين بشكل كاف منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا،كي يكونا موضوع أبحاث أكاديمية متنوعة تتعمق في إيجاد العلاقة بين الطب القديم والمعاصر والفلسفة، ليس من أجل إحياء معرفة قديمة بمعرفة جديدة، ولكن من أجل غرس روح الفلسفة في الممارسات الطبية بغية التفكير في جوهر الإنسان ومصيره ومستقبله داخل هذه المجالات والممارسات التقنية، ومن بينها الطب الذي أصبح في معظمه، كيانا حديديا، بلا روح.

---

الكتاب: أطباء وفلاسفة
المؤلف: كلير كرينيون ودافيد لوفيبفر
الناشر: منشورا CNRS .فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٩
عدد الصفحات: ص ٥١٢
اللغة: الفرنسية.

*** كاتب مغربي**

# الاحتكاكات التجارية العالمية: صعود وسقوط الدول الكبرى
# رن تسه بينغ

حسام المغربي *

تبادلت القوتان الاقتصاديتان الكبريان في العالم فرض رسوم جمركية على واردات بعضهما البعض بلغت قيمتها مئات مليارات الدولارات، ومع الوقت انتقل الصراع التجاري بين الصين والولايات المتحدة إلى «حرب تقنية»، وحاليا بدأت تطفو على السطح بوادر تحوّلها إلى «حرب عملات»، ما يعتبره محللون أزمة ستكلف الاقتصاد العالمي خسائر فادحة.
فدفع الصين إحياء طريق الحرير القديم (مبادرة الحزام والطريق) سيضاعف الصادرات الصينية بأضعاف ما هي عليه الآن، ويعني نجاح هذه المبادرة تراجعا حادا في تدفق الاستثمارات الأجنبية إلى الولايات المتحدة، ما سيعزز رغبة الإدارة الأمريكية في خفض أسعار الفائدة كون الاقتصاد الصيني هو المتضرّر الأكبر منها، وبالتالي قد تشتعل حرب عملات تلحق الضرر بمصالح البلدين الكبيرين والاقتصاد العالمي.
ولفهم طبيعة هذه الحرب التجارية وأبعادها، قد لا تكون الخبرة التاريخية كافية، بل يتطلب الأمر كذلك تفكيرا استراتيجيا جديدا على أساس مراجعة جولات سابقة من النزاعات التجارية.
قد تكون الاحتكاكات التجارية بين الصين والولايات المتحدة تمهيدا لتغيير «القيادة العالمية»، وإذا تمكّنت الصين من تنفيذ جولة جديدة من «الإصلاح والانفتاح» بنجاح، فستضع الأساس لمستقبل الأمة المشرق.

### فهم أحداث التاريخ والمؤلف

في كتابه «الاحتكاكات التجارية العالمية . صعود وسقوط الدول الكبرى» الصادر عن «دار الشعب للنشر» عام ٢٠١٩، حاول المؤلف رن تسه بينغ، أحد أبرز علماء الاقتصاد الصينيين، فهم أحداث التاريخ والاستفادة من دروس الحرب الاقتصادية التي شنتها أمريكا ضد اليابان خلال ٤٠ عاما من القرن الماضي في مواجهتها التكنولوجية المتصاعدة بين بكين وواشنطن.

ويرى المؤلف أنه رغم مواصلة الولايات المتحدة احتواء التنمية الاقتصادية والتطور التكنولوجي للصين، إلا أن امتلاك بكين لإمكانيات هائلة في السوق المحلية سيمكنها من معالجة الخلل في التوازن بين التنمية الاقتصادية والتكنولوجية، وكذلك تحقيق الاندماج في السوق العالمية من خلال تعاونها مع الدول الأوروبية، لتعويض ضغوط واشنطن.

ويعد المؤلف رن تسه بينغ المولود في عام ١٩٧٩ والحاصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة رنمين الصينية في بكين عام ٢٠٠٧، كبير الاقتصاديين (نائب الرئيس) وعميد معهد مجموعة إيفرغراند، وزميل بعد الدكتوراه في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة تشينغهوا. وتولى في السابق منصب نائب رئيس مكتب البحوث في إدارة دراسات الاقتصاد الكلي بمركز بحوث التنمية التابع لمجلس الدولة الصيني (مجلس الوزراء).

وقد سبق له كتابة العديد من العناوين التي تتناول الأوضاع الاقتصادية بشكل خاص منها «البحث في بنية الاقتصاد الكلي» و «من المعجزة إلى النضج.. تجربة التحوّل الكوري» و«الاتجاه الكبير.. الاقتصاد والسياسة وأسواق رأس المال» و«دورة السوق العقارية» وحققت جميعها مبيعات قياسية في داخل الصين وخارجها.

كما قدّم رن تسه بينغ عددا كبيرا من وجهات النظر الأكاديمية منها على سبيل المثال «معدل نمو ٥ بالمائة في العصر الجديد أفضل من ٨ بالمائة» و«٥٠٠٠ نقطة في سوق أسهم من الفئة 'A' ليس حلما» و«تضاعف أسعار عقارات مدن الدرجة الأولى الصينية» و«منحنى اقتصاد على شكل 'L'» و«دورة جديدة» وجميعها نالت تقديرا واسعا من قبل السوق.

### حجّة صراع الحضارات

في القسم الأول من كتابه «الاحتكاكات التجارية العالمية . صعود وسقوط الدول الكبرى» يسلّط رجل الاقتصاد رن تسه بينغ الضوء على الحروب التجارية خلال المائة عام الماضية، وأبرزها «الكساد الكبير» الذي بدأ بانهيار سوق الأسهم الأمريكية في أكتوبر ١٩٢٩ لترفع واشنطن بعدها الرسوم الجمركية على الواردات ما أسفر عن هبوط حركة التجارة العالمية بنسبة ٥٠٪ وزيادة معدل البطالة إلى ٢٥٪ وقد استمر الركود من عام ١٩٢٩ حتى منتصف أربعينيات القرن الماضي وتسبب في اندلاع الحرب العالمية الثانية؛ والحرب التجارية بين الولايات المتحدة واليابان التي بدأت خمسينات القرن الماضي؛ والحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية.

ويرى المؤلف أن مسميات مثل «صراع الحضارات» و«المواجهة الأيديولوجية لعقلية الحرب الباردة- جميعها مبررات وذرائع، والحقيقة وراء هذه الحروب التجارية هي المنافسة الاقتصادية وسياسة الاحتواء الاستراتيجي للقوى المهيمنة على القوى الناشئة.

وبأخذ الحرب التجارية بين الولايات المتحدة واليابان كمثال، فإنه من منتصف الخمسينيات وحتى أوائل تسعينيات القرن الماضي، تصاعدت حدة التنافس بين البلدين على الهيمنة الاقتصادية لتشعل حروبا تجارية شملت ست صناعات متمثّلة في المنسوجات (١٩٥٧-١٩٧٤)، والصلب (١٩٦٨-١٩٩٢)، والأجهزة المنزلية (١٩٧٠-١٩٨٠)، والسيارات (١٩٨١-١٩٩٥)، والاتصالات (١٩٨١-١٩٩٥)، وأشباه الموصلات (١٩٧٨-١٩٩٦)، لتنتقل تدريجيا إلى حرب مالية في سعر الصرف ثم حرب اقتصادية توسّعت من الصراع الصناعي إلى النزاعات في التنسيق الكلي والنظام الاقتصادي.

وكانت نتائج تلك الحرب التجارية، هي اختيار اليابان «طواعية» فرض قيود على صادراتها وتحديد حجم التجارة وقبول توسيع الواردات، بداية من إلغاء التعريفات المحلية (مثال/ على السيارات)، وفتح الأسواق المحلية (مثال/ في قطاع الاتصالات السلكية واللاسلكية)، وفرض قيود على منتجات التصدير إلى الولايات المتحدة، وتعيين مؤشر حصة المنتجات الأمريكية في السوق اليابانية (مثال/ منتجات أشباه الموصلات). لتؤدي هذه الخطوات إلى اختيار مصنعي السيارات والأجهزة المنزلية اليابانية الاستثمار مباشرة في الولايات المتحدة من أجل تجنّب مخاطر التعريفات الجمركية المحلية وسعر الصرف، الأمر الذي تسبب بعد ذلك في ظهور احتكاكات في الاستثمار.

ويمكن القول إن نهاية الحرب التجارية اليابانية الأمريكية كانت «ضعف» قوة الأولى بشكل كبير أمام الهيمنة الأمريكية. وقد خلقت هذه الحرب التجارية «متاهة العشرين عام» لدولة اليابان، وحفاظ الولايات المتحدة على الهيمنة الاقتصادية العالمية دون علاج حقيقي لاختلالاتها التجارية.

### سبع نقاط لحل جذري

في القسم الثاني من كتابه، يقدّم رن تسه بينغ مجموعة كبيرة من البيانات والجداول لعرض أحوال الاختلال التجاري بين الصين والولايات المتحدة، وطرح حل جذري للاحتكاك والاختلال التجاري بين الدولتين.

وقال رن، النائب السابق لمدير مكتب البحوث في إدارة دراسات الاقتصاد الكلي بمركز بحوث التنمية التابع لمجلس الدولة الصيني (مجلس الوزراء)، إن السبب المباشر للاحتكاك التجاري بين الصين والولايات المتحدة هو الفائض التجاري الضخم بين الدولتين، حيث تحاول إدارة ترامب فتح السوق الصينية بشكل أكبر أمام البضائع الأمريكية، وخفض صادرات بكين للولايات المتحدة من خلال التصعيد من حدّة الاحتكاكات التجارية وزيادة التعريفات الجمركية لتحقيق هدف «أمريكا

أولا» و«جعل الولايات المتحدة قوية من جديد».

ولخص المؤلف أسباب الاختلال التجاري بين الصين والولايات المتحدة في سبع نقاط رئيسية، والتي لا يمكن حلها من خلال الركون إلى زيادة التعريفة الجمركية على البضائع الصينية، وهي:

١) المشاركة في سلسلة القيمة العالمية تسبب في أن تكون المنتجات مصدرها الصين لكن قيمتها المضافة تعود إلى دول أوروبا والولايات المتحدة، ما يعني أن «الفائض» في الصين و«المصالح» تصب في أوروبا والولايات المتحدة. لذلك يمكن القول إن نظام المحاسبة التقليدي يبالغ في تقدير الفائض التجاري بين الصين والولايات المتحدة.

٢) مكانة الدولار الأمريكي كعملة احتياطية دولية تتطلّب حتما الإبقاء على العجز التجاري لضخ الدولار الأمريكي وتوفير سيولة دولية (معضلة تريفين).

٣) الدولار الأمريكي كعملة احتياط رئيسية يمنح الولايات المتحدة امتيازا للحصول على سلع وموارد الدول الأخرى من خلال بيع العملة إلى الحكومات الأجنبية وإصدار السندات الاحتياطية المقوّمة بالعملة دون تقييد، ما سيؤدي حتما إلى ظهور عجز هائل في المشاريع التجارية وفائض ضخم في مشاريع تمويل رأس المال. وبالتالي، فإن الامتياز الفائق للدولار يعادل فرض ضريبة العملة على البلدان الأجنبية للحفاظ على نظامها المهيمن.

٤) تراجع المدخرات والاستهلاك العالي في الولايات المتحدة يؤدي حتما إلى خلق عجز تجاري خارجي ضخم، والأسباب الكامنة وراء ذلك هي نظام الرفاهية المرتفع وبيئة أسعار الفائدة المنخفضة والهيمنة المالية للدولار الأمريكي.

٥) يوفر الفرق الهائل في تكلفة العمالة بين الصين والولايات المتحدة الميزة النسبية للصين في الصناعات التحويلية «المنخفضة المستوى» في ظل الحظر الذي تفرضه الولايات المتحدة على صادراتها من التكنولوجيا الفائقة إلى الصين. ومن ناحية أخرى، يمثل قطاع الصناعات التحويلية في الولايات المتحدة ١٨,٨٪ فقط، بينما تشكّل صناعة الخدمات ٨٠٪، ويعني الهيكل الصناعي للولايات المتحدة هذا أن حجم الإنتاج لا يمكنه تلبية الطلب المحلي المتزايد ويتطلّب حجم واردات كبير.

٦) تمثّل التكنولوجيا المتقدمة دعامة أساسية في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي وليست مجرّد عملية منافسة في السوق، ومع تشديد القيود على تصديرها للصين سجّل عجز الولايات المتحدة في هذا القطاع أكثر من ٣٠٪ من إجمالي عجزها التجاري مع الصين، في حين تشهد الولايات المتحدة فائضا في صادراتها من التكنولوجيا الفائقة إلى بلدان أخرى.

٧) حققت مؤسسات التمويل الأجنبي حجم تصدير ضخما، وساهمت بنسبة ٥٧٪ من الفائض التجاري للصين، وتعد المؤسسات ذات التمويل الأمريكي المستفيد الأكثر حظا من حركة التجارة، ولا تستطيع الولايات المتحدة إلقاء اللوم على الصين بينما تجني الفوائد منها.

ويرى المؤلف أنه بدون معالجة هذه الأسباب فإنه حتى لو تم

تخفيض العجز التجاري مع الصين من جانب واحد، فسوف يستمر العجز في التجارة الخارجية للولايات المتحدة؛ وما سيحدث هو نقل هذا العجز مع الصين إلى الهند أو فيتنام، تماما مثل الحرب التجارية بين الولايات المتحدة واليابان في الثمانيات من القرن الماضي التي حوّلت العجز من اليابان إلى الصين وألمانيا.

### خطة النقاط الست الشاملة

استنادا إلى الحقائق، يلخص المحلل السياسي المرموق في الجزء الأخير من كتابه قوانين صعود وسقوط الدول الكبرى، ويقدم اقتراحات للصين لمواجهة الاحتكاك التجاري مع الولايات المتحدة وتعزيز قوتها. حيث يشير إلى أن تغييرات الهيكل الاقتصادي العالمي ستؤدي قريبا إلى «تعديل نسق الحوكمة العالمية».

وأوضح رن تسه بينغ إلى أن المكانة النسبية لبلدان «الدرجة الأولى في الشؤون العالمية» تتغيّر على الدوام، ويرجع ذلك إما إلى الانخراط في صراع عسكري أو المنافسة في التنمية الاقتصادية، في حين يكون لعوامل مثل معدلات النمو الوطني والاختراقات التكنولوجية والتغيّرات التنظيمية دور هام في صعود وسقوط الدول الكبرى.

وإذا كان نسق الحوكمة العالمي في القرن الحادي والعشرين يتحرّك نحو التعدّدية القطبية، فإن هذا التحوّل يبدأ من الهيكل الاقتصادي في وقت لا تزال فيه الولايات المتحدة تهيمن على الشقين السياسي والعسكري.

ومع ذلك، فإن تجارب التاريخ تخبرنا أنه إذا انحسرت فجوة القوة الاقتصادية العالمية، فستتسبب قريبا في تعديل الهيكل السياسي العالمي، والفرق الوحيد هو ما إذا كان هذا التعديل في شكل حرب أو سلام.

فمن الهيمنة البحرية لكل من بريطانيا وإسبانيا، إلى الحربين العالميتين، إلى الحرب الباردة ثم اتفاق بلازا، كانت جميع هذه الحروب تمثّل كفاحا من أجل النضال العسكري والسباق على فرض الهيمنة الاقتصادية. وبعد دخول العصر النووي، أصبح من غير المرجح وقوع «حرب انتحارية» بين قوى العالم الكبرى، بل زادت حدة التنافس على نطاق أوسع في مجالات التجارة والتمويل وموارد الطاقة والتأثير في المنظمات الإقليمية والجغرافيا السياسية.

وبالنسبة للصين، يرى رن تسه بينغ أن الصين تواجه جملة من الفرص والتحديات كونها ثاني أقوى اقتصاد عالمي وأكبر دول العالم سكانا، وتزايد أهميتها على المسرح الدولي، ووضعها كواحدة من الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن. هذا مع الأخذ في الاعتبار، اختلاف النظام السياسي في كل من الصين والولايات المتحدة.

وأوضح رن أنه يتوجب على الصين فهم أن «الهيمنة الخارجية» هي امتداد مباشر لـ«القوة الداخلية»، لذلك فإن أفضل رد على التحديات بما فيها الاحتكاك التجاري مع الولايات المتحدة هو تنفيذ جولة جديدة من «الإصلاح والانفتاح» بتصميم وشجاعة أكبر.

واقترح الكاتب خطة من ست نقاط لتجاوز التحديات انطلاقا من دروس الحروب الاقتصادية عبر التاريخ، وهي:

١) الدفع بثبات نحو جولة جديدة من «الإصلاح والانفتاح» وتحسين مناخ الأعمال؛ ما يلبى تطلعات الشعب الصيني للتنمية والابتكار وحياة أفضل، ويتوافق مع الاتجاه العالمي نحو التنمية والتعاون والسلام.

٢) تعزيز التنمية عالية الجودة وتشجيع التحديث الصناعي، وترسيخ موقع الصين في مشاركة سلسلة القيمة العالمية.

٣) رفع رغبة الاستهلاك بين أبناء الشعب من خلال خفض الضرائب وتحسين الضمان الاجتماعي، ودفع جهود تخفيف حدة الفقر وتعديل توزيع الدخل؛ ما يصب في صالح تعديل الهيكل الاقتصادي للبلاد.

٤) مواصلة تطوير مبادرة «الحزام والطريق» بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي ودول آسيا وأفريقيا.

٥) صياغة استراتيجية وطنية جديدة لخلق وضع استراتيجي طويل الأجل يفيد الصين في مواجهة تطوّر الوضع السياسي والاقتصادي في المستقبل وتغيير القيادة العالمية.

٦) مواصلة تعزيز تدويل العملة الوطنية «الرنمينبي»، حيث يعتبر بروز الرنمينبي كعملة رسمية في أكتوبر ٢٠١٦ بإدراجه ضمن سلة عملات الاحتياط أبرز تغيير رئيسي خلال الأعوام العشرين الماضية، ويواصل اكتساب المزيد من النفوذ إلا أن حصته الحالية لا تصل إلى ٢٪ من احتياطيات النقد الأجنبي للبنوك المركزية في المرتبة الخامسة لترتيب العملات العالمية.

---

عنوان الكتاب: الاحتكاكات التجارية العالمية ـ صعود وسقوط الدول الكبرى
المؤلف: رن تسه بينغ
الصفحات: ٣٠٠
الناشر: دار الشعب للنشر
سنة النشر: أغسطس ٢٠١٩
اللغة: الصينية

*** باحث ومترجم عربي مقيم في الصين**

# التيسير الكمي للناس
# فرانسيس كوبولا

محمد السالمي *

في خضم الأزمة المالية في عام ٢٠٠٨، عمدت البنوك المركزية لخلق تريليونات من الدولارات، وصبها في الأسواق المالية أي اعتماد سياسة «التيسير الكمي»، وذلك لاستعادة النمو الاقتصادي ومنع الانكماش. ولكن الأموال ذهبت إلى الشركات الكبرى والبنوك وهي البنوك نفسها التي تسببت في الأزمة من خلال الإقراض المتهور، ولم تذهب إلى الناس العاديين، هذا أدى إلى عقد من الركود، وليس الانتعاش.

ومن هنا يُمكن القول بفشل سياسة التيسير الكمي في تحقيق أهدافها في زيادة إجمالي الطلب وبدء النمو. على الرغم من أن البنوك المركزية لم تقم بعمل سيء في الركود الأخير، فإن العديد من الأدوات التي استخدمتها لن تعمل في المرحلة التالية أو لن تُحقق الأهداف المرجوة منها، لأسباب ليس أقلها أن تركة الأدوات نفسها لم تتبدد بعد. فالميزانيات العمومية للبنك المركزي هائلة، ولا يزال القطاع الخاص مثقلاً بالديون. وفي حال حدوث ركود اقتصادي مستقبلا، ستحتاج البنوك المركزية إلى أدوات أكثر جذرية لدعم إجمالي الطلب. في هذا الكتاب، تقدم فرانسيس كوبولا Frances Coppola قضية «التيسير الكمي للناس»، حيث ترى الكاتبة أن توزيع الأموال على الناس العاديين والشركات الصغيرة بشكل مباشر بدلا من البنوك، سيوفر حافزًا إجماليًا أكثر فاعلية للطلب على المدى القصير مقارنةً بالتسهيلات الكمية، دون أن يؤدي ذلك إلى نتائج توزيع مؤلمة. ويمكن للحكومات أيضاً، الاستفادة من قدرة البنوك المركزية على دعم أسعار الأصول، والاستثمار في الاقتصاد لاستعادة النمو وإعادة التوازن للاقتصاد على المدى الطويل. هذا الكتاب من تأليف فرانسيس كوبولا، حيث تملك المؤلفة خبرة كبيرة في الأعمال المصرفية تمتد لأكثر من ١٧ عامًا. كما أنها محررة مشاركة في المجلة الإلكترونية Pieria، ومعلقة دائمة حول المسائل المالية لهيئة الإذاعة البريطانية BBC.

الأطروحة الكامنة وراء هذا الكتاب هي أنه على الرغم من فشل التسهيل الكمي منذ الأزمة المالية ٢٠٠٨، فإنَّ سبب الفشل يكمن في آلية التنفيذ، وليس في السياسة النقدية نفسها. كان التيسير الكمي عبارة عن سياسة اقترحها ميلتون فريدمان وآن شوارتز في عام ١٩٦٣ كوسيلة لمُواجهة الكساد المالي. كانت الفكرة تتمثل في زيادة عرض النقود بشكل جذري، وتزويد المستهلكين بالمال لإنعاش الاقتصاد. بعد خمس سنوات استخدم فريدمان استعارة «طائرة هليكوبتر» حيث تسقط الأموال على المجتمعات لتحقيق هذا الهدف، في أعقاب الأزمة المالية الكبرى، بدأت البنوك المركزية في جميع أنحاء العالم سياسة فريدمان في «أموال طائرات الهليكوبتر»، حيث صرفت تريليونات الدولارات. ومع ذلك، كما توضح الكاتبة، فإن هذا الاستخدام الهائل للتخفيف الكمي، قد فشل لأن «إسقاط طائرة هليكوبتر» لفريدمان كان يعني عدم وضع الأموال في جيوب الناس، بل رمي الأموال بشكل أعمى في الأسواق المالية الدولية دون اعتبار لما سينتهي به الأمر. والنتيجة المرجوة لم تحدث، بدلاً من ذلك نجد أنفسنا في «الركود الطويل». إذن، أين ذهبت أموال الهليكوبتر بعد أن تم توزيعها على القطاع المالي والشركات؟، فقد تم استثمار الكثير منها في الأسواق الناشئة. كما استخدمتها الشركات لإعادة شراء الأسهم لزيادة سعر أسهمها وعظمتها دون زيادة النشاط الإنتاجي، أو كما تُشير كوبولا «وول ستريت مليئة بالمال، بينما الشارع الرئيسي يموت بسبب العطش». هذا ما يفسر فقاعات الأصول وانخفاض معدل البطالة في بعض الدول، في حين أن نمو الأجور لا تزال راكدة.

ولكن قبل نشر هذا الكتاب، هناك العديد من الاقتصاديين والسياسيين الذين أكدوا على أهمية «التيسير الكمي للناس» في دعم الاقتصاد، أبرزهم جيريمي كوربين زعيم حزب العمال البريطاني. فقد دعا جيريمي إلى إنشاء بنك استثمار وطني أو صندوق سيادي يتم تمويله مباشرة من قبل بنك إنجلترا، بحيث يختص هذا الصندوق للاستثمار بشكل مباشر في الإسكان والنقل العام وباقي البنية التحتية. على الرغم من أنه يختلف في رؤية ميلتون فريدمان في توزيع الأموال مباشرة على الأفراد، إلا أن كلا التوجهين يؤثران على استقلال البنك المركزي.

خلال السنوات العشر الماضية، أنشأ بنك إنجلترا ما يقارب ٤٥٠ مليار جنيه إسترليني. ينتهي المال الذي يتم إنشاؤه من خلال التيسير الكمي في أسواق العقارات والأسواق المالية، ولا يفعل الكثير لدعم الاستثمار في الشركات لخلق فرص العمل. لذلك على الرغم من أن البنك أنشأ مليارات الجنيهات، بقيت الأجور منخفضة، والناس العاديون لا يرون الفائدة.

ولذلك يرى البعض أن بنك إنجلترا يملك المقدرة لاعتماد أدوات سياسية قوية بديلة في دعم الاقتصاد وتحقيق توزيع أكثر عدلاً. بدلاً من ضخ الأموال في الأسواق المالية، يمكن إنفاقها عبر الحكومة في البنية التحتية أو التكنولوجيا الخضراء أو كدفع مباشر لتمويل الأسرة.

هذا التوجه تم نقده حيث سيُنظر إليه على أنه يزيد من مخاطر الاستثمار في المملكة المتحدة. كما أنه سيتعارض مع معاهدة لشبونة للاتحاد

الأوروبي التي تمنع البنوك المركزية من طباعة النقود لتمويل الإنفاق الحكومي، ولكن لا يستبعد ذلك بعد خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي. بالإضافة إلى أنه قد يشجع الحكومات على الإنفاق المتهور لتمويل مشاريع سيئة، ويمكن أن يتم استغلاله لتسريع الدورة الاقتصادية قبل الانتخابات يليها التقشف بعد إعادة انتخاب الحكومة وقد يؤدي ذلك إلى تضخم جامح.

تدرس كوبولا الفرق بين السياسة النقدية للبنك المركزي والسياسة المالية للحكومة. في رأيها أن هدف السياسة المالية هو إعادة توزيع الثروة في المجتمع، في حين أن الغرض من التيسير الكمي هو إنشاء وتوزيع أموال جديدة. فزيادة المخزون النقدي الأساسي لمواجهة الانكماش الناجم عن فشل الإقراض المصرفي هي وظيفة البنك المركزي وذلك لإدارة الاختلافات الدورية في الاقتصاد، وليس لتحديد اتجاهه على المدى الطويل.

تطرقت الكاتبة في هذا السياق للبنك المركزي الأوروبي حول فشله في التعامل مع الركود الحالي. والسبب يكمن في أن السياسات الموضوعة تحت تصرف البنك المركزي لايمكن أبدًا الوفاء بهذه المهام. بدلاً من ذلك، أصبح دور البنك المركزي الأوروبي، له بعد سياسي أو أيدولوجي. حيث ليس للبنك المركزي أي تفويض ديمقراطي، كما أنه ليس مسؤولاً أمام الشعب. وتقول إنه لاكتساب أي مصداقية بين مواطني الاتحاد الأوروبي سيتعين إضفاء الطابع الديمقراطي على البنك. كما تؤكد في كتابها: «إن الحكومات ليست أطفالاً أشقياء يتم تأديبهم من قبل البنوك المركزية، وأن محافظي البنوك المركزية ليسوا من كبار الكهنة الذين يمكنهم وحدهم استرضاء الآلهة الاقتصادية الغاضبة». ومن هنا، يجب أن يكون هناك تعاون جديد بين البنوك المركزية والحكومات.فقد فشل التسهيل الكمي في استعادة النمو الحقيقي منذ ذلك الحين، لأنَّ تمويل التسهيلات الكمية قد تم توجيهه إلى البنوك التجارية والشركات الكبرى التي لم تستثمر الأموال بشكل إنتاجي ولكن استخدمتها لسداد ديونها، وتعزيز سعر أسهمها والانخراط في المضاربة. إن سياسات التقشف التي اتبعتها الحكومات لاستعادة العجز، والتي كانت تنقذ البنوك، كانت بمثابة كسر للنمو. وبمعنى

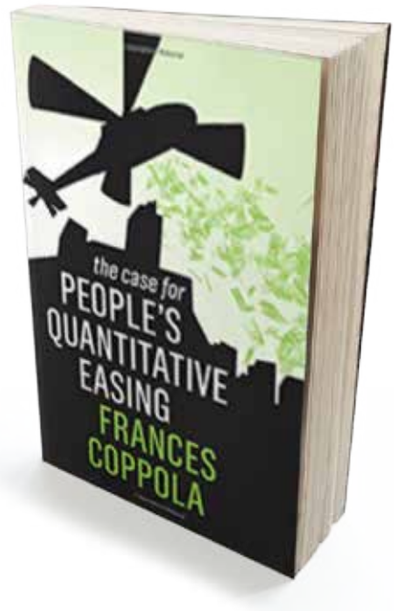


آخر، إن «التيسير الكمي» لم يذهب إلى حيث الحاجة.

تستبعد الكاتبة مخاوف المصرفيين والاقتصاديين الرئيسيين من أن التيسير الكمي للأفراد سيؤدي إلى ارتفاع التضخم أو العودة إلى التضخم الهائل كما في السبعينيات. إنها تتفق مع الاقتصادي الكبير ميلتون فريدمان في أن زيادة المعروض من النقود كان سيمنع الكساد العظيم في الثلاثينيات. وهي تجادل أن المشكلة في الاقتصاد العالمي تتمثل في انخفاض التضخم، فإن سياسة التيسير الكمي، لن تؤدي إلى تأجيج التضخم. تنتقد كوبولا ما يسمى باستقلال البنوك المركزية عن الحكومة. وهي تجادل في أن هذا التوجه يعني حقًا الاستقلال عن السيطرة الديمقراطية. إنها تعتقد أن البنوك المركزية والحكومات يجب أن تعمل معاً لتشجيع النمو الاقتصادي.

تشير كوبولا إلى أنه حتى مع استقلال البنك المركزي، لا يمكن لسياسة التسهيل الكمي تحقيق أهدافها إلا عندما تعمل البنوك المركزية مع السلطات المركزية. وتوضح أن التيسير الكمي سوف يتسبب في التضخم وهذا هو الغرض منه، ولكن بعد مرور عشر سنوات، لم يصل التضخم في معظم الدول إلى المستويات المرغوبة وهو فشل فاجع. فالبيانات تشير إلى أن التضخم يرتبط بشكل كبير بعجز الحكومة. فحل هذه المعضلة يتمثل في وجود حكومة مسؤولة تدعم البنك المركزي في تحقيق أهدافها، وليس عجز الحكومة الذي ينتج عنه تضخم مفرط.

في أواخر صفحات الكتاب تتوقف كوبولا عن تأييدها الكامل للاقتراح الداعي إلى تنفيذ التسهيلات الكمية للناس من خلال زيادة الدخل الأساسي بتمويل من مال سيادي، حيث ترى أن هذه الأمور تتجاوز نطاق كتابها. يتبين من خلال الخاتمة، تأييد الكاتبة في توجه جيرمي كوربين في إنشاء صندوق سيادي لدعم البنية التحتية ممّول مباشرة من بنك إنجلترا.

تختتم كوبولا كتابها بأنه يجب ألا يكون هناك أي تسامح مع السياسات التي تؤدي إلى تفاقم عدم المساواة وإلحاق الضرر بالفقراء. كما يجب إنشاء بنوك استثمار عامة وصناديق ثروة سيادية في كل دولة، مع إزالة القوانين والقواعد التي تقف عائقاً للتعاون بين الحكومات والبنوك المركزية. ففي وسائل الإعلام الرئيسية، غالبًا ما يتم تصوير أموال طائرات الهليكوبتر أو التيسير الكمي للأفراد على أنها فكرة سخيفة تنشرها بعض الأكشاك. ترى كوبولا عكس ذلك حيث إن العبث هو أنه بعد عشر سنوات من الفشل، لا تزال سياسات البنك المركزي الحالية لم تؤخذ على محمل الجد.

يعد الكتاب ضمن قائمة أفضل الكتب الاقتصادية في الفايننشال تايمز لعام ٢٠١٩، حيث استطاعت فرانسيس كوبولا جعل هذا الكتاب سهلا وممتعا للقراءة، والمعلومات التي يحتويها جميعها جيدة التنظيم. في المقابل، من الصعب أن تكون موضوعيًا بشكل مفرط والحكم بأن أفكار الكتاب ثورية يجب تطبيقها، ولكنه يقدم فكرة جيدة بما يكفي لمنح شخص ما للمناقشة في أبعاد التيسير الكمي ونجاعتها مستقبلاً.

---

اسم الكتاب: التيسير الكمي للناس
اسم المؤلف: Frances Coppola
الناشر: Polity
سنة النشر: ٢٠١٩
عدد الصفحات: ١٤٠
اللغة: الإنجليزية

*** كاتب عُماني**

# الخروج من الفوضى أزمات المتوسّط والشرق الأوسط جيل كيبل

عزالدين عناية *

يُحاول الباحث الفرنسي جيل كيبل، أبرز المُتابعين الغربيّين للإسلام المعاصر والحركات الدينية السياسية، تتبّعَ بؤر الفوضى التي نشطت، على مدى الفترة المتراوحة بين سبعينيات القرن الماضي والعشرية الراهنة، في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط. وضمن مسْحٍ للأحداث، يرصد الانتفاضات والحروب والاغتيالات والمعارك السياسية، وغيرها من الأحداث التي هزّت المنطقة، دون غوصٍ في دوافعها العميقة أو تأمّل في آثارها البعيدة. فقد عرفت البلاد العربية وما جاورها تحولات لافتة في تلك الفترة، كان لها أثر كبير على مساراتها السياسية وعلى أوضاعها الاجتماعية، معتبِرا صاحب الكتاب البترول العنصر الجوهري الأوّل في صنع تلك الأحداث.

يُوزّع جيل كيبل كتابَه على جملة من الأطوار الزمنية، ينطلق الطور الأوّل فيها مع سبعينيات القرن الماضي، وهي الفترة التي شهدت حرب أكتوبر ١٩٧٣، معتبرا تلك المرحلة بداية انتشار الفوضى في الشرق، والتي بلغت أوجها مع الطور الأخير بإعلان ما عُرف بتنظيم «الدولة الإسلامية» سيطرته على مساحة واسعة من الجغرافيا المشرقية بين سوريا والعراق بين سنتيْ ٢٠١٤ و٢٠١٧.

في ذلك المناخ الذي خيّم على الشرق، لم تكن نتائج حرب أكتوبر التي دشّنت بداية الفوضى، إيجابيةً على مستوى السياسات والأوضاع العربية. فقد اصطنعت الدعاية القومية نصرًا عربيًا ضد الدولة العبرية في حرب ١٩٧٣، في وقت تمدّد فيه الاحتلال واقتطع أجزاء من دول الأطراف. ولم تفرز تلك الحرب انفراجا في المسار العربي العام، بل فاقمت آثارها من سوء الأوضاع، بتشديد القبضة الأمنية وتزايد التضييق على الحياة السياسية. لم يوفّق العقل العربي، بمؤسّساته التعليمية، وبطروحاته الآيديولوجية، وبتنظيراته المعرفية، في توليد أفق نظري جديد لشعوب تتطلّع إلى تحقيق التقدم وبلوغ العيش الكريم. وبقيت النتائج الوخيمة للسياسات السابقة متحكّمة بالأقدار المصيرية للمجتمعات، ما جعل عديد الدول تدور مكرَهة في فلك التبعية وتغرق قسرا في سوء التنمية دون قدرة على الخروج من ذلك الارتهان.

يَعتَبر جيل كيبل المنعرَجات الكبرى التي عرفتها السياسات العربية قد حصلت تحت تأثير النفط، منذ إشهار الملك الراحل فيصل سلاح البترول في ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ بفعل التحالف الغربي الفاضح مع إسرائيل، سيما من جانب الولايات المتحدة وهولندا بمساعدة جيش الاحتلال في الحرب، وإلى غاية التدخل الأمريكي إبّان غزو العراق للكويت في عهد صدام حسين (١٩٩٠). وكما يبرز كيبل، ساهم سلاح البترول في إنقاذ أنظمة من الانهيار (نظام أنور السادات ونظام حافظ الأسد) إبان الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٧٣؛ لكن البترول كذلك رسّخ تباينات كبرى بين الأقطار العربية الريعية وغير الريعية، في السياسة والاقتصاد.

يستعرض جيل كيبل جملة من التباينات، ولعل أبرزها الصراع على الإسلام في البلاد العربية منذ بروز النظام الناصري، الذي سعى نحو تأميم الإسلام على غرار تأميم القنال. خلقت سياسة عبدالناصر تلك، على حدّ توصيف كيبل، فوضى في مصر وفي الدول الوطنية العربية، التي ما كانت ترى موجباً للانخراط في السياسات القومية أو موالاتها لتحقيق النهوض والتنمية. وحصل ردّ فعل تجاه تلك السياسة في شبه الجزيرة العربية، مثّلته العربية السعودية، من خلال خلق مؤسسات بديلة كما يفسّر الكاتب (جاءت عبر إنشاء رابطة العالم الإسلامي في ١٥ ديسمبر ١٩٦٢)؛ وفي بلاد المغرب خاض كلّ من بورقيبة في تونس والحسن الثاني في المغرب سياسات براغماتية مع الغرب، عَدّا بموجبها سياسة جمال عبدالناصر سياسة متهوّرة وغير مراعية للإمكانات العربية، في ظل واقع التخلف الذي ترزح تحت وطأته أقسام واسعة من المجتمعات.

تشكّلت سياسات دينية متضاربة في البلاد العربية، زادتها الانقسامات السياسية حدّة. ففي الفترة التي كان فيها جمال عبدالناصر يخوض حرباً شعواء لاجتثاث «حركة الإخوان المسلمين» عبر محاكمات شهيرة لقادتها (أبرزها إعدام سيد قطب في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦)، كانت الصحافة التونسية، في العهد البورقيبي، تُلقي باللائمة على اعتقال عبدالناصر الزعيم الإخواني ورفاقه، وتطالب بالإفراج الفوري عنهم بوصفهم ضحايات الاعتداد الناصري والتعسف القومي. كما مثّلت القضية الفلسطينية إحدى بؤر الفوضى من منظور جيل كيبل في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣. فبعد تراجع الغطاء القومي سلك الفلسطينيون مسالك شتى في التعويل على أنفسهم لإيجاد حلّ لقضيّتهم، جرّبت الفصائل السياسية الفلسطينية حينها النضال المسلّح، وخاضت المعارك السياسية أكان في الداخل أم في الخارج. لم يكن الصراع مع الدولة العبرية أمرًا هيّنا على الفلسطيني، كما لم يكن توقيع اتفاقية السلام إنهاء للصراع. حيث أدّى خوض عملية الصلح مع إسرائيل إلى انقسامات عميقة، لا يزال الفلسطيني يعيش تحت وطأتها بين غزة ورام الله حتى الراهن.

لا يخفى عن عين متصفّح الكتاب استعادة جيل كيبل الرؤية التسطيحية الغربية لقضايا البلاد العربية، أنها بلاد محكومة بالفوضى الداخلية، دون إقرار بأنّ الصراعات المفروضة التي تعاني منها المنطقة، هي التي كانت غالبا عاملا جوهريا في خلْق الفوضى بالداخل. إذ هناك تدخلات سافرة في البلاد العربية وفي منطقة المشرق عامة، طيلة الحقبة المتابَعة، ساهمت في توليد الفوضى وإشاعتها. فأن تتحوّل الاضطرابات السياسية التي عاشتها منطقة المشرق إلى نتاج مباشر للداخل، أمرٌ فيه حيْفٌ في التقدير السياسي، وينأى عن الموضوعية. مع ذلك يتعيّن ألّا نغفل عن قابليّة بنية النظام السياسي الشرق أوسطي للاختراق والتوجيه، وعدم القدرة على صدّ التدخلات الخارجية.

وتبعا لزاوية النّظر لقضايا البلاد العربية ومنطقة الشرق الأوسط، الدينية السياسية لدى جيل كيبل، فقد هيمنت رؤية «دينَويّة» على قراءة الأحداث أثناء عرض مظاهر الفوضى. ونقصد بالرؤية «الدينَوية» اختزال الحراك المجتمعي في المنطقة في عامل وحيد ألا وهو العامل الديني، في حين ثمة عوامل أخرى غير ذلك العامل، مثل التبعية الاقتصادية، وانتشار التخلّف الاجتماعي، وضعف الحسّ المدني، وتردّي العملية السياسية في جملة من الأقطار، وهي من العوامل الأساسية التي تقف خلْف الاضطرابات. ومجاراة لتلك النظرة «الدينويّة» يُقرّ جيل كيبل أنه بُعيد سقوط جدار

برلين، أي منذ العام ١٩٨٩، الذي شهد أحداثاً كبرى في البلاد الإسلامية، مثل فتوى الإمام الخميني ضد الكاتب سلمان رشدي مؤلف كتاب «الآيات الشيطانية»، وانسحاب روسيا من أفغانستان، وإنشاء «جبهة الإنقاذ الإسلامية» في الجزائر، ونجاح الانقلاب العسكري في السودان بقيادة البشير، وتفجر مسألة الفولار في فرنسا، أُدخل الإسلام، في تلك الأجواء، معترك الصراعات الدولية كخَلف للكتلة الاشتراكية. وقد كان ذلك الضغط المسلَّط على البلاد العربية والإسلامية عاملا حاسما في خلق الاضطرابات بالداخل والتوترات مع الخارج. فلا يمكن تبرئة الغرب من حالات الضغط القصوى التي عانت منها المنطقة، وهو ما ولّد «ضغائن» في البنية السياسية القاعدية.

يتابع كيبل الأحداثَ السياسيةَ ذات الطابع الأمني والإرهابي في الشرق الأوسط وفي شمال إفريقيا، ليصوغ منها ملامح «فوضوية» كما يسمّيها. يستند فيها إلى تجميع ظواهري للحوادث دون تفسير لمجرياتها أو إتيان على مسبّباتها. والجليّ أنّ عرضَ الأحداث وحده لا يكفي لفهم التاريخ والتحولات، فالعملية تقتضي تحليل الوقائع وتركيبها ونقدها نقدًا وجيهاً، وهو ما من شأنه أن ييسّر عرض خلاصة للقارئ تضعه أمام حقيقة مجريات الأمور. ولكن أن يقوم الكاتب بترصيف أفعال الإجرام، وأعمال الإرهاب، مع إضافة الوقائع الأليمة والأزمات المتراكمة، ضمن حيز إقليمي معين، يغدو فيه أهلوه صنّاع أزمتهم، فذلك من شأنه أن يشوّش النظر على القارئ ويحول دون الفهم الصائب للوقائع.

هناك نقيصة أخرى في الكتاب، تتمثّل في افتقاد الأحداث السياسية في المتوسط والشرق الأوسط إلى رابط عميق بينها، رغم الطابع المسُحيّ للأحداث. فقد غاب من الكتاب تحليل البنى العميقة، وإظهار الأسباب الكامنة وراء حالات الانسداد السياسي. وسيطرت على صياغة الكتاب ملاحَقة للأحداث وفق التقليد «لحوْليّاتي» على حساب التعمّق في فهمها أو الإتيان على مسبباتها وتفسيرها. وهو ما جعل الكتاب بمثابة «الكشكول السياسي» عن وقائع المتوسط والشرق الأوسط، فأحيانا يغرق جيل كيبل في تبسيط ظواهر معقَّدة على صلة بالمجتمعات الإسلامية، معتمدا في ذلك أسلوبا دعائيا مبتذلا في العرض ينأى عن البحث الأكاديمي الجاد، على غرار عرضه للظاهرة الداعشية. والحال أنّ فهمَ التحولات الدينية السياسية في البلاد العربية ليس استعراضا للأحداث على طريقة عرض الأخبار، بل غوصا في المسببات والآثار.

من جانب آخر، يأتي الحديث عن الإسلام السياسي، الذي يمثّل حقل البحث الرئيس لدى جيل كيبل،

ممزوجا بالأحداث الإرهابية، بما يجعل القارئ أمام خليط مشوّش ينأى عن المصداقية. ففي الكتاب نرصد تراجعا لافتا على مستوى المنهج في فهم ظاهرة الإسلام السياسي، تعيدنا إلى الأبحاث الأولى، إبان سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، التي انطلقت بها دراسات الإسلام في الغرب وما رافقها من خلط، حين كانت تتلمّس فهْمَ وقائع التحولات السياسية في المجتمعات الإسلامية.

ثمة عناصر أساسية في صنع «الفوضى»، إن جارينا كيبل في توصيفه للحالة العربية والإسلامية، تتمثّلُ في الانسداد السياسي المقصود، والتغييب القسري لتوجهات سياسية ومنعها من المشاركة الحرة، وهو ما ينطبق على جملة من البلدان؛ لكن ثمة سببا آخر في صنع «الفوضى» وهو نفي حقّ الوجود والتواجد في ذلك الفضاء، على غرار طمس حق الفلسطيني ودفع أهاليه إلى مشارف الإبادة المنهَجة، وهو ما خلق تفجرات فجئية باتت شبه دورية في تلك الساحة.

يسهب جيل كيبل في رواية الأحداث عبر الكتاب وفق نسق تصاعدي يصل إلى الفترة الراهنة، ولا يولي في ذلك الجوانبَ الفكريةَ أي عناية، وهو ما يطرح تساؤلا بشأن معنى عرْض الأحداث دون الولوج في غور الظواهر. صحيح يمرّ القارئ بالحالة التونسية أو الحالة الليبية أو المصرية أو غيرها إبان موجة الربيع العربي وما بعده؛ ولكن لا يجد غوصا في الأسباب أو نقاشا للمآلات والمصائر، حيث يطغى الطابع الوصفي الحوْليّاتي على الكتاب بشكل واسع. والحال أنّ فشلَ تجارب ونجاح أخرى ناتجٌ عن أسباب بنيوية. ففي الوقت الذي استند فيه التحول في تونس إلى طبقة وسطى واسعة، ذات تكوين تعليمي جيد ومتعدد المشارب، افتقدت معظم بلدان الربيع العربي إلى ذلك، وهو ما جعل التعثر سريعا وأعجزَ قوى التغيير عن مواصلة التحول الهادئ. فلا تنبني التحولات الإيجابية على الفراغ، وإنما تستند إلى خلفية داعمة يمثّلها جيش من التكنوقراط، وهو ما صنع الفارق بين تونس والجارة ليبيا على سبيل المثال، حيث تحولت دولة مثل ليبيا وبسرعة فائقة من دولة مارقة إلى دولة تنتفي فيها الضوابط. هنا تتلخص خصائص «الاستثناء التونسي»، كما يقول كيبل، وهو في الواقع سياق تشكّلَ منذ القرن التاسع عشر، وخلّف بنية مؤسساتية صلبة. كما يعتبر جيل كيبل أنّ الديمقراطية الناشئة في تونس تبقى امتحانا مهمّا لاختبار الأحزاب القائمة على أساس إيديولوجي. فقد أثبتت الساحة التونسية أنّ الولاء للأحزاب أكانت يسارية أم وطنية أم ليبرالية أم إسلامية متحوّل، فحين توضَع الأحزاب على المحك تكتشف بالفعل إمكانياتها وقدراتها الحقيقية بعيدا عن الضجيج الإعلامي الذي قد يلفّها.

ولذا فالفوضى التي تعيشها بعض البلدان هي نتاج عدم تلبية المطالب المادية للناس، والتي سرعان ما تنزلق نحو صراعات ذات طابع إثني ومذهبي، وهو ما يَبرز جليًا في الحالة العراقية الراهنة. فالوضع الاجتماعي البائس يشترك فيه السني والشيعي والكردي والعربي على حد سواء، بَيْدَ أنّ الخروج من ذلك المأزق غالبا ما يسلك قنوات مغتربة، دينية أو عرقية بحثا عن حلول وهمية، وهي من المزالق التي يعاني منها التغيير في البلاد العربية.

في استشراف لأوضاع البلاد العربية ومنطقة الشرق الأوسط، ينتهي جيل كيبل إلى أنّ غياب اتفاق جدّي بين روسيا والأطراف الغربية، بوصفهما الضامنين لإخراج المنطقة من الفوضى، من شأنه أن يبقي صنع السلام بعيدا. فعبر تلك التسوية يمكن الحديث عن اندماج المنطقة في النظام العالمي والمحافَظة على أمن شعوبها.

---

الكتاب: الخروج من الفوضى.. أزمات المتوسّط والشرق الأوسط.
تأليف: جيل كيبل.
الناشر: رافائيللو كورتينا (ميلانو-إيطاليا) "باللغة الإيطالية".
سنة النشر: ٢٠١٩.
عدد الصفحات: ٤١٦ ص.

*** أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا**

# معاناة القرون الوسطى... مجموعة مؤلفين

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

غالباً ما تُثير قاعات المتاحف التي تعود معروضاتها إلى القرون الوسطى نعاس الزوار، بصفوفها المتشابهة الرتيبة من الأيقونات والصلبان ورسومات القديسين؛ إن لكل شخصية من الشخصيات التاريخية المرسومة صفاتها وقسماتها الخلقية الخاصة، مع ذلك فإنّها تتكرر بالصيغة نفسها على الدوام وفي كل مكان؛ فنحن نعرف الرسول بولس كونه رجلا أصلعا، يظهر حاملا سيفه، والقديس بطرس بلحية كثيفة، ممسكًا المفاتيح بيديه، والقديس ستيفن بحجر عالق في رأسه، والقديسة سانت كاترين لا نراها إلا بجوار عجلة التعذيب.

لا شك أن تكرار نفس الأفكار والشخصيات يخلق لدى المتفرج شعورا بصرامة التقاليد في العصور الوسطى، وحصانة الأطر الفنية الكنسية بحيث يتم نسخ الصور بمقاييس ومعايير محددة لا يصح تجاوزها البتة. فكان الرسام يقوم بعمله عبر آلية متعارف عليها ومُرخصة من قبل المجلس الكنسي، وهي عادة ما تستند إلى تأويلات متفق عليها لصفات الرسل والقديسين، وما على الرسام إلا تحويل تلك التأويلات النظرية إلى صور مرئية- والويل للرسام الذي يخرج عن الأطر الموضوعة أو يحاول إنجاز أعمال فنية دينية مستعينا بشطح خياله.

كل ما سبق ذكره صحيح ولكنه ناقص، فثمة تفاصيل مختلفة ونواحٍ متعددة ظلت مجهولة، أو غير معلن عنها، تتعلق بالتنوع الكبير للأساليب الفنية الدينية في العصور الوسطى، وسعة الابتكار لدى الرسامين والفنانين، وهو ما يخالف ما اعتقدناه عنهم ويعاكس الصور النمطية التي تقدمها لنا المتاحف والكنائس في عصرنا الراهن؛ وهو أيضا ما حدا بمؤلفي الكتاب الذي بين أيدينا: «معاناة العصور الوسطى» لفحصه والكشف عنه وإثباته بالبراهين القاطعة والحجج البينة. يسجل إصدار هذا الكتاب سبقا للنشر لم تعهده سوق الكتاب الروسي، حيث ينطلق من أسلوب تفاعلي بين المؤلفين والقراء والناشر، وذلك استنادا إلى ما يتيحه عصر تكنولوجيا المعلومات من إمكانيات للتفاعل بين المادة المنشورة والمتلقي. تبدأ القصة من عام ٢٠١٢ حينما أنشأ طلبة المدرسة العليا للاقتصاد في موسكو رابطة على الإنترنت أطلقوا عليها «المعاناة في العصور الوسطى»، وبخلاف الاسم فإنَّ الموضوعات التي تناولتها الرابطة وتداولتها مع جمهورها تتسم بطابع هزلي؛ وقد بدأ عمل الرابطة بنشر منمنمات من القرون الوسطى في موقعهم الإلكتروني، ولكنهم عمدوا إلى تقديمها في إطار كوميدي غير معتاد، الأمر الذي حقق نتيجة غير معتادة أيضًا، حيث اكتسب الموقع شعبية واسعة، وتزايد عدد متابعيه ليصل حتى تاريخ نشر الكتاب إلى ثلاثمئة ألف مُتابع، أي أقل بقليل من عدد متابعي أكبر المواقع العلمية الروسية في الشبكة العنكبوتية، وهو ما دفع بأكبر دور النشر الروسية إلى التعاقد مع مديري الرابطة لنشر كتاب ورقي حول موضوعهم.

يركز مؤلفو الكتاب على نوعية من الأعمال الفنية الدينية لا تزال مجهولة لدى الجمهور الواسع، وهي أعمال تنتهك الصورة التقليدية والمثالية السائدة عن العصور الوسطى بوصفها عصور الورع والتقوى، فتقدم رسومات للوحوش الضارية، وأخرى هزلية بل وحتى فاحشة... ثمة قرود نجدها في هوامش النصوص القديمة، والقديسين في مظهر وحشي، فمن أين جاءت هذه الرسومات وكيف يمكننا ربطها بتاريخ الفن العالمي ومراحل تطوره؟ من خلال ترتيب وتحليل المعطيات المتوفرة، يستنبط المؤلفون بحثا جادا عن قواعد ومنطق الفن في العصور الوسطى، موضحين السبب الذي يجعل نوعا من الاشتغال الفني مقبولا لدى العامة والخاصة قبل ما يربو عن ثمانمئة سنة في حين أنه يُقابل بالرفض في زمننا المستنير هذا ويُتهم أصحابه بالتجديف، ويُنظر إليه كلطمة عنيفة للذوق العام. وقد اعتمد المؤلفون لهيكلة الكتاب، الأشكال الهامشية لفن القرون الوسطى: «الوحشي»، «الإنساني»، «الإلهي» فقسموا كتابهم وفقاً لها، كما اتخذوا مسارا تصاعديا لسرديتهم تنطلق من الأسفل إلى الأعلى، من الأرضي إلى السماوي، من الشيطاني إلى الأسرار الباطنية (تبحث الفصول الأخيرة من الكتاب في استخدام الرمزية الكيمائية في الفن).

وفضلا عن تحليل القطع الفنية نفسها، وعددها ليس بقليل، تطرق الباحثون للرواية التاريخية للرقابة الكنسية وأساليب تصديها للفن الذي يحيد عن الأطر المسموح بها والمتواضع عليها. يلاحظ المؤلفون أنه، وحتى القرن الخامس عشر، نادرا ما سُمع في العالم الكاثوليكي عن رجل دين قام بحظر رسمة، أو كنيسة نفذت تدابير قمعية ضد رسام. بيد أن الصورة تبدلت في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث لجأت الكنيسة الكاثوليكية إلى فرض رقابة أكثر صرامة على الرسومات التقليدية الدينية، ولكن من غير احتكار للوسط الفني برمته ومن دون إيصاد الباب أمام الرؤية العلمانية للفن؛ فمقابل اشتداد قبضة الكنسية للرسم الديني واتساع نطاق رقابتها عليه، هناك المد الثقافي العلماني الذي لم ينهزم ولم يخل الساحة، وهناك أيضا الوعي الديني العام الذي لم ينغلق ويتقوقع على نفسه، فنجد أن روح الإبداع لم تنهزم وظلت تحفر في أرض الابتكار، فكانت النتيجة ظهور أشكال جديدة في الرسم الكنسي متحررة من الشرط التقليدي، فهناك الرسومات التي تزاوج بين الجسد والتأمل الوجداني، وهناك التداخل التاريخي في الموضوع الديني، وهناك الرسومات المتشربة من الروح المسيحية ولكنها تمتلك بعدا تجريبيا أو تأويليا خاصا.

من جهة أخرى يطرح المؤلفون أسئلة متجددة حول ثنائية الفن والمقدس، وكيفية التوفيق بين الفن الذي يرتبط بالتغير والانفلات والدين الذي يؤكد على الثبات والرسوخ، ومن تلك الأسئلة: أين تقع الحدود المسموح بها للفن في تناول المقدس ومن يرسم تلك

الحدود؟ كيف يمكن التوفيق بين حماية القيم التي يعتبرها الكثيرون قيما مقدسة وبين حرية التعبير، التي من شيمها النقد والفضح؟ ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه الكنيسة في دولة علمانية، وعلى ماذا يجب أن يقتصر تأثيرها؟ هل يمكن لكنيسة أو مجموعة من المؤمنين امتلاك حق النشر والتصرف بشخصية المسيح أو مريم العذراء أو رمز الصليب؟

يسوق المؤلفون كمثال لهذه القضية، لوحة الفنان الألماني التعبيري جورج غروس التي أنجزها عام ١٩٢٧ تحت عنوان «الصلب» فنحن أمام رجل يتوشح بمئزر، إنه مسمّر، وهناك علامة على رأسه تشير إلى يسوع الناصري باعتباره ملكا لليهود. إنها صورة معتادة لولا أن المسيح فيها ينتعل خُفا عسكريا ويغطي وجهه قناع يقي من الغازات السامة. وهكذا، وكما شرح الفنان عمله، فإنه يصنع رمزا للإنسانية المتعطشة للدماء، ويستنكر الانجراف للحروب ما يتنافى مع روح الديانة المسيحية. وبالنسبة للفنان فإن المسيح وهو على صليبه يمثل رمزا للمعاناة، وهو ليس رسما دينيا بالضرورة. إن الفنان يستخدم الرمز المسيحي المعروف ويمنحه معنى مختلفاً (غير كنسي وربما معاد للكنيسة) كما أن الكنائس التي تزج بالناس إلى المقصلة إنما تخون إلهها بذلك. وكما هو معروف فقد خسر غروس قضيته أمام المحاكمة الأولى، بعد ذلك، وبرغم أن المحكمة لم تتوفر على أدلة دامغة لتجريم الفنان، إلا أنها قررت مصادرة وتدمير رسوماته المتداولة بأكملها، وعلى أثره غادر غروس ألمانيا مقرونا بخيانة الوطن والانتماء إلى البلشفية وذلك قبيل تولي أدولف هتلر منصب المستشار في شهر ناير من عام ١٩٣٣.

ويحدد المؤلفون موقفهم من قصة الفنان الالماني بقولهم: «بالرغم من أن التجديف المتعمد ممكن الحدوث، ولكننا يجب ألا ننسى شيئا مهما يتعلق بالهجاء والنقد باعتباره أسلوبا متعدد الأبعاد، فالصور واللوحات التي تظهر فيها الشخصيات المقدسة في سياق غريب أو سخيف أو كوميدي، ليست موجهة بالضرورة للتهجم على معتقد بعينه، بل إن العكس صحيح في بعض الأحيان، حيث يعمد الفنان بهذه الطريقة إلى نقد الأوصياء على تلك العقيدة واتهامهم بخيانة المبادئ الروحية وتشويه الإيمان. إن أسلوب التدخل في تصوير الرموز الدينية قد يكون بهدف التهجم على معتقد ما، وقد يكون من أجل

الدفاع عن معتقد ما، ومحاولة لتطهيره واستعادة القوة العاطفية التي فقدها ذلك المعتقد، فيمكن للفنان انتقاد الكنيسة أو فضح الثقافة الشعبية التي تحولت فيها الصور والمشاهد المقدسة كمشهد الصلب والعشاء الأخير ... الخ منذ فترة طويلة إلى مجرد سلعة «(ص: ١٢)

يعرض المؤلفون تجارب ممثالة في روسيا المعاصرة ويشيرون إلى أنه، حتى لو لم تنطوي بعض الرسومات على نية لمعاداة الدين، إلا أنها تخاطر بالوقوع تحت طائلة القانون الخاص بحماية مشاعر المؤمنين، وهو قانون ما انفك يزداد قوة مع مرور الزمن. إن أي تراجع عن التقليد الكنسي المألوف يعده الكثيرون تجديفا، كما أن الدولة، بمساعدة الأجهزة القضائية والمحاكم، تدعم التوجه للدفاع وحماية الرموز المقدسة في اللوحات الفنية، ليس حمايتها من التدنيس البدني فقط، وهو أمر واجب، ولكن أيضًا من محاولة إعادة النظر في نماذجها الراسخة. ويقربنا المؤلفون من الصورة الواقعية في روسيا حول هذا الشأن عبر الرد الذي أرسلته وزارة العدل الروسية إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان فيما يتعلق بلوحة الرسام الروسي ألكسندر سافكو التي ظهرت في معرض «فن المحرمات ٢٠٠٦» حيث استعار سافكو في لوحته نقش الفنان الألماني اللوثري جوليوس شنور (١٧٩٤ - ١٨٧٢) التي تصور المسيح وهو يعظ فوق الجبل ولكنه استبدل رأس المسيح برأس ميكي ماوس. يكتب المؤلفون حول ذلك: «يمكننا أن نتعامل مع هذه الأعمال كما نريد، فنرى فيها إشارة ساخرة حول موضوع المجتمع الاستهلاكي أو نربطها بمستوى الذائقة المتدني لدى الجماهير. كل شخص يحكم عليها من زاوية نظره. إلا أن المحكمة الروسية قررت، وبكل سرعة وسهولة، أنه عمل متطرف واعتبرته تشويها متعمدا للرمزية الدينية». ويستنتج المؤلفون أن الكنيسة تتخذ من الشكل التقليدي للفنون الدينية أسلوبا إلزاميًا يجب التقيد به، وأن أي إعادة في تصوير الرموز المقدسة إنما هو بالضرورة الحتمية فعلا من أفعال التجديف والتهجم.

يتميز هذا الكتاب بكشفه عن ظاهرة في المجتمع والفن يكاد التطرق إليها أن يكون معدوما، لا سيما في الفضاء الروسي العام. فباستثناء كتابات الفيلسوف الروسي ميخائيل باختين، لا يعرف القارئ الروسي (غير المختص) أي كتابات تتناول فنون القرون الوسطى بصورة نقدية وتحليلية، وعلى الرغم من كون باختين رائدا في هذا المجال، بيد أنه بنى أبحاثه على نماذج محدودة للغاية، ناهيك عن أنها لا تتوافق غالبا مع الأفكار العلمية الحديثة حول ثقافة القرون الوسطى. ومع أن «كرنفال» باختين ظل ولفترة طويلة بحثا نموذجيا في مجاله، إلا أن الطلبة والقراء المهتمين بالقرون الوسطى لم يسعهم من خلاله سوى التعرف على الجانب النظري من ثقافة القرون الوسطى، إذ غابت عن كتاب باختين المواد الإيقونية وغيرها من النماذج الفنية، الشيء الذي يتمثله هذا الكتاب الذي بين أيدينا أيما تمثيل، ويحتفي به كما ونوعا. إضافة إلى ذلك لا يقتصر كتابنا هذا على تقديم لمحة عامة عن الأساليب الفنية الدينية وحسب، بل يحتوي على مراجع هامة للقراء المهتمين ووردت أسماؤها في ملحق الكتاب باللغتين الإنجليزية والفرنسية، إلى جانب الروسية بطبيعة الحال.

---

الكتاب: معناة القرون الوسطى.
المؤلف: مجموعة مؤلفين.
الناشر: أ س ت/ ٢٠١٨ موسكو باللغة الروسية.
عدد الصفحات: ٤١٦.

***أكاديمية ومستعربة روسية**

# الوجه الحقيقي لفيسبوك في الهند
# سيريل سام وبارانجوي غوها

فيرابوراتو عبد الكبير *

قبل فرز الأصوات في الانتخابات العامة التي جرت في هذا العام كان حزب المؤتمر الهندي وأحزاب المعارضة الأخرى قد أعربوا عن ذهولهم بسبب توقعات استطلاعات بثتها القنوات التلفزيزنية بفوز كبير لحزب بهارتيا جاناتا (بي جيه بي بالاختصار) الذي ينتمي إليه رئيس الوزراء مودي وحلفاؤه. وزعموا أنّ ثمة محاولة للتلاعب بالقرار لصالح حزب بهارتيا جاناتا عن طريق استبدال آلات التصويت في بعض المناطق. وثبوتا لهذه التهمة أشاروا إلى مركبات تحمل ماكينات تصويت جيدة منعها الناس حين وصلت مراكز الاقتراع. ولكن لجنة الانتخابات رفضت هذه المزاعم بتبريرات شتى.

والمحكمة العليا أيضًا رفضت طلبات لعد أعداد محددة من الأصوات جديدا للتأكد من صحة أعدادها. وإلى ذلك كانت مفوضية الانتخابات في تاريخها بدت هذه المرة منحازة جدا في حكمها لصالح لحزب الحاكم في شأن عدد من شكاوى قدمتها أحزاب سياسية أمامها. ومهما كان الأمر كان هناك سؤال يدور في خلد الناشطين السياسيين، وذلك هل أنّ الناخبين هم فقط أدلوا بأصواتهم في هذه الانتخابات؟ أم هل كان هناك دور مذكور لأي طرف آخر خارج الناخبين في فوز «ناريندرا مودي» وحزبه؟ وهذا الكتاب «الوجه الحقيقي لفيسبوك في الهند» للصحفيَّين الهنديّين «سيريل سام» و«بارانجيت غوها تاركوتا» إجابة وافية لهذا السؤال الملح. يحاول الكتاب أن يرفع القناع عن وجه انتخابات عام ٢٠١٤ ويكشف عن دور فيسبوك الشركة الأم لـ«واتساب» في صعود ظاهرة ناريندرا مودي. وكذلك ارتفاع موجات نتائج الانتخابات في عام ٢٠١٩ أيضا بفوز حزبه الكاسح، حقق بي جه بي هذا الفوز الكبير بتشكيل مائتي ألف مجموعة تحتوي كل مجموعة ٢٥٠ عضوًا أو ٥٠ مليون قارئ يسيرون في خط الحزب يستخدمون «واتساب» لتأثير نتائج الانتخابات العامة التي جرت في عام ٢٠١٩ لصالحه.

كانت السنة ٢٠١٩ لشركة فيسبوك سنة جفاف بالنسبة لإيراداتها حيث واجهت عموما انتقادات حادة من جانب اليساريين واليمينيين. ولكن يُشار إلى أن الشركة، رغم ظروفها المالية هذه، قد حصدت بلايين من الدولارات بارتفاع إيرادتها في الهند بقدر ٢٦ ٪ لتضاف مزيدًا من القوة إلى صوت الانتقادات ضدها. يتهم الكتاب فيسبوك بأنّه قد درّ أرباحًا هائلة في الهند من خلال تعاونه مع حزب «بهارتيا جاناتا» الحاكم بمنحه فرصة سانحة لتحقيق إنجازات كبيرة سياسيا. ويدّعي الكاتبان في مقدمته بأنّه يحتوي معلومات وتفاصيل غنية عن كيفية الدعم التي قام بها فيسبوك لـ «بي جيه بي». وإن كان الكتاب تحقيقا صحفيا أكثر من كونه تحليلا عميقا إلا أنه غني بمعلومات مفيدة ومثيرة؛ حيث يكشف عن عمق العلاقات غير النزيهة القائمة بين شركات عملاقة وأحزاب سياسية في الهند.

وللكتاب مقدمتان، مقدمة كتبها الإعلامي البارز «رفيش كومار» الذي حاز على جائزة «ميجسيسي» الفاخرة عام ٢٠١٩، والمقدمة الثانية كتبها البروفيسور «أبورناندا» رئيس قسم اللغة الهندية في جامعة دلهي. يُقسَم الكتاب إلى ١٩ فصلا قصيرًا، يوجد في الفصول الأولى تاريخ فيسبوك وأضواء على معالم الطريق في تطورات مسيرته. يفحص المؤلفان في الفصول التالية بنظر انتقادي كيف أنّ واتساب وفيسبوك لعبا دورا فعالا في تعزيز مصالح الحزب الحاكم بي جيه بي في الهند وفي ترويج أجندته الاجتماعية والسياسية ذات التوجه الأغلبي اليميني، ويلقي الكتاب أيضا الضوء على الوسائل غير الصحية التي اتخذها فيسبوك ليصل مكانته الراهنة المسيطرة من خلال الدعم الذي حصل عليه من رجال مقربين لدى رئيس الهند ناريندرا مودي. نجد فيه نماذج تشير إلى أن فيسبوك كيف قام بتعتيم وتهميش ناقدي حزب بهارتييا جاناتا الحاكم وكيف أن بعض كبار الموظفين في فيسبوك اشتغلوا ولايزالون يشتغلون متعاونين مع الحزب المذكور. هذا التعاون المشترك بين الشركة والحزب وأذرعه المختلفة كان قد بدأ في الحقيقة، كما يقول الكاتبان، قبل ٢٠١٤. والفصل الثامن يُكثِّف على نماذج تُثبِّت هذا التعاون المشترك. نلتقي فيه شخصا يسمى «شيفا ناته توكرال». وهو صحفي سبق أن عمل في قناة «أن دي تي في» كما اشتغل في شركة «كاارنيج إيندييا» بصفته كعضو منتدب، كان يربطه العمل بـ «جوشي» أحد مساعدي مودي القريب. تمهيدا للانتخابات العامة التي ستجري في عام ٢٠١٤ قاما معا في عام ٢٠١٣ بتأسيس موقع باسم « ميرا بهاروسا» («اعتمادي») وبإعداد صفحات مواقع أخرى لـ بي جيه بي. وفي عام ٢٠١٧ بعد التخلي عن منصبه في «كارنيج إيندييا» التحق بفيسبوك كمدير السياسة للهند وجنوب آسيا. كان غريبا أن يحتل شخص قريب من الحزب الحاكم بمكان مرموق في مؤسسة إعلامية تدّعي أنها غير منحازة. وقد سبّب هذا تذمرا داخل أروقة فيسبوك ذاته. ينقل الكتاب قول السيدة «كاتي هاربهات» المديرة لقسم السياسة الدولية والحكومات في فيسبوك بأنها كانت غير راضية في أن يكون المسؤولون الكبار في فيسبوك المقربين من حكومة مودي. وإن كان هذا القول منقولا عن مصدر مجهول إنّ هذه التهمة المنسوبة إلى علاقة توجد بين صرح إعلامي عالمي عملاق وإدارة مودي سيُؤخذ جديًا بلا شك. ومن الجدير بالذكر هنا أن السيدة كاتي نفسها كانت «مسؤولة الاستراتيجية الرقمية للحزب الجمهوري الأمريكي و«رودي جيولياني» قبل أن تلتحق بفيسبوك.

كان بي جيه بي من رواد الأحزاب السياسية الهندية الذي اكتشف قوة فيسبوك، شركة خاصة تحاول أن ترسخ جذورها في الهند البقرة الحلوب للإعلانات. وجد الحزب في قوة فيسبوك هذه وسيلة لائقة للوصول إلى الناخبين. حقق الحزب والشركة كلاهما إنجازات من خلال هذه المشاركة. وفي الانتخابات العامة سنة ٢٠١٤ عرض فيسبوك على حزب :بهاراتييا جناتا- استعداده لتزويد كوادر الحزب بالتدريب اللازم في مجال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في حملته الانتخابية. فيسبوك يدّعي أنه كان قد قام بتنظيم الورش لكوادر الأحزاب السياسية الأخرى

أيضا، ولكنه ليس إلا ذر الرماد في العيون. لأن بي جيه بي هو الذي كان في مقدمة هذا التحرك ليستفيد منه بأن سيطر على نتائج الانتخابات فيما بعد. كان فريق الاستراتيجية الرقمية التابع لـ بي جيه بي سعيدا فيما حقق الطرفان من الفوائد المشتركة. خلال لقاء امتد ساعتين مع «فينيت جويانكيه» رئيس خلية المعلومات التكنولوجية التابعة لـ بي جيه بي طرح الكاتبان له سؤالا: «من الذي ساعد الآخر أكثر؟ هل كان ذك فيسبوك أم بي جيه بي؟ فرد على السؤال مبتسما أنه سؤال صعب، وقد يبدو عجيبا أن فيسبوك ساعد بي جيه بي أكثر مما ساعد بي جيه بي الآخر ولكن يمكنكما أن تقولا إن كل واحد منا ساعد الآخر بالتساوي. وقد وردت في الكتاب تقارير مدهشة مثل رفض فيسبوك إعلانا من حزب المؤتمر عن فساد حكومة مودي فيما يتعلق بصفقة «رافال» مع فرنسا، وكذلك تأجيل فيسبوك ١١ يوما في نشر ما كشفت مجلة «كارفان» عن بعض مخالفات «أميت شاه» رئيس بي جيه بي السابق ووزير الداخلية الحالي في حين تتسابق وسائل الإعلام في نشر الأخبار الحساسة أوّلا بأوّل. وهذا التوجه اليميني لفيس بوك ليس مقصورا في الهند فقط بل يتضح في مواقفه في قضايا عربية أيضا. هنا نتذكر تجربة الكاتب وائل قنديل التي كتب عنها في عموده في جريدة العربي الجديد (٣٠ /٨/ ٢٠١٩) تحت عنوان «عنصرية الجنرال فيس بوك»، يتساءل فيه الكاتب: ما هو المعيار الذي يقيس به فيسبوك ما يصلح وما لا يصلح للنشر؟ لأنّ الموقع يتحرك بالمنع والحظر وفق إحداثيات إسرائيلية إلى الحد الذي لن تكون مبالغا معه لو قلتَ إنه يدار من الكنيست الإسرائيلي. على مدار الأيام الماضية يفاجئني كل يوم برسالة تفيد بمصادرة منشور قديم لي نص مقالة أو تعليق سريع بزعم مخالفتها سياسات النشر في الموقع. وليست مصادفة أن كل المنشورات التي لا تعجب الموقع تتحدث عن فلسطين، باعتبارها وطنا محتلا، وعن مقاومة الشعب الفلسطيني الاحتلال، بموجب قرارات الشرعية الدولية التي تنص على حقوق الشعوب في مقاومة محتليها.

وهذا لا ينفي أن فيسبوك لم ينشر شيئا ضد بي جيه بي، وقد نشر عن الممتلكات التي حققها الحزب بعد أن سيطر على سدة الحكم، وهذا قد يكون من حيلته بعد أن ثبّت أهميته في مجال سياسة الانتخابات لتسويق نفوذه بين الأحزاب الأخرى. وقد رأينا أن «كامبريدج

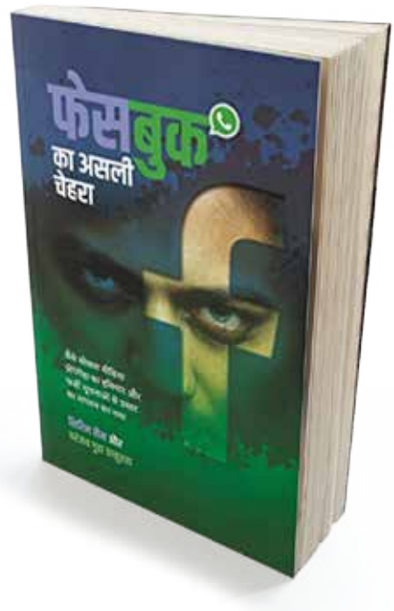


أناليتيكا» كيف تمكن من النفوذ في عملية «بريكسيت» وانتخاب رئيس الولايات المتحدة عام ٢٠١٦ باستخدام معلومات محددة من فيسبوك. وتقول الإحصاءات إن عدد المستخدمين بـ واتساب في الهند يبلغ الآن ٣٠٠ مليون مما جعل الوطن أكبر سوق له. فإذن من هنا فصاعدا لن تكون التلفزيون والمظاهرات هي وحدها التي تحدد مصير الانتخابات بل سيكون فيسبوك السيد في معاركها في السياق الهندي. ليس هناك أدنى شك في أن فيسبوك وواتساب قد غيّرا المجتمع تغييرا جذريا. وفي الظروف الحالية كلاهما يُعتبران عنصرين حاسمين في مجال السياسة وإدارتها. وهذا التجسير بين شركة وأحزاب سياسية سيؤدي بمسير نظام الديموقراطية حتما في النهاية إلى هوة من الخطر. في حين يكشف الكتاب عن أن مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك قد جعلت الهند مصنعا كبيرا في العالم لفبركة المعلومات وتضليل السواد الأعظم يشير أيضا إلى حقيقة أن معدل انتقاد فيسبوك في الهند بأدنى درجة خلافا للبلدان الأخرى، فما السبيل إلى التحكُّم على هذا الصرح العملاق الذي يسيطر على مخزن من المعلومات الهائلة؟ ويُذكر هنا قول جيريمي رايت- سكريتير الإعلام الرقمي والثقافة والرياضة في المملكة المتحدة إن دور التحكم الذاتي بالنسبة لشركات الإنترنيت قد انتهى دوره. فلا بد من تحركات من تقنين جديد في هذا المجال. مؤخرا كانت هناك تحركات من جانب وزارة الداخلية وإدارة الإعلام والرياضة في المملكة المتحدة لمراقبة مواقع التواصل الاجتماعي للتحكم عليها ضد نشر أخبار مضلِّلَة أو توفير دعاية لصاح الأعمال الإرهابية أو القيام بالتحفيز للاعتداء الجنسي على الأحداث. ولكن هناك إمكانية لسوء استخدام هذه القوانين لتلجيم حرية التعبير وإعاقة النشاطات السياسية الحرة. فأي إجراء بهذا الصدد لا بد أن يكون بحيطة وحذر. نرى أستراليا وألمانيا قد حذتا حذو المملكة المتحدة. وبموجب تقارير شفافة صدرت مؤخرا من جانب فيسبوك قد ازدادت خلال السنوات الماضية طلبات من الحكومة وأذرعها المكلفة بتنفيذ القوانين لتزويدها بمعلومات تختص بمستخدمي فيسبوك.

وقد ورد في الكتاب ذكر مقالات شتى حذرت من قوة المواقع التواصل الاجتماعي التدميرية خاصة قوة فيسبوك وواتساب. ومنها مقالة ناشط رقمي يتخذ مقره الولايات المتحدة نشرتها مجلة «كارافان». تنسب المجلة تهمة لفيسبوك بأنه قد قام بتعتيم مقالات تتضمن انتقادات لرئيس الوزراء مودي وحزبه. ويؤكد الناشط الرقمي الأمريكي المذكور بأن فيسبوك قد ترعرع كجمهورية موز من العالم الرقمي وأن مجموعات الحقوق في العالم الرقمي على مدى سنوات يطالبون بفحص معايير مستخدمي فيسبوك ولكن دون جدوى. وأصحاب هذه المقالات يشيرون مثلا إلى تصرف فيسبوك بفتح أبوابه على مصاريعها لشن الهجوم على معارضي مودي حين حدث الهجوم الإرهابي بـ«بفولفانا». هكذا تتوسع قاعدة الشكوك حول مصداقية فيسبوك يوما بعد يوم مما دفع بعض الشخصيات المرموقة مغادرته نهائيا. يقول «تشارلس أسيسي» ((Charles Assisi الحائز على جائزة في مجال الصحافة: إنّ فيسبوك كارثة لسببين. أولا إنّه يجعلك أصم، وثانيا إنّه يسيطر على حياتك. ولذلك تركته بلا عودة إليه.

---

اسم الكتاب: الوجه الحقيقي لفيسبوك في الهند،
المؤلفون: بارانجيت غوها تهاكورتا وسيريل سام
الناشر: آمازون، اللغة: الهندية، عدد الصفحات: ٢٣٠

*** مستعرب هندي**

# تخطيط وتطوير المجتمعات العربية في إسرائيل
# مفهوم جديد للسلطات المحلية والدولة

أميرة سامي *

**في المجتمعات العربية، هناك رأي واسع النطاق مفاده أن التخطيط هو فعل مفروض عليهم من خلال آليات الإشراف لنظام التخطيط كذراع للدولة، من أجل السيطرة على المدنيين والمجتمعات. والنتيجة هي عزل مستمر بين نظام التخطيط في إسرائيل والسكان العرب، مما يولد نزاعات وتوترات مدنية ووطنية.**

**تستعرض الدراسة الإصلاح في التخطيط والترخيص والبناء، والذي دخل حيز التنفيذ في السنوات الأخيرة، ويدرس الحواجز ومستوى استعداد المجتمعات العربية للإصلاح. تظهر نتائج الدراسة أن السلطات المحلية وسلطات الولايات مطلوبة لتنفيذ الإصلاح.**

تهدف هذه الدراسة إلى صياغة سياسة بديلة وإنشاء «مجموعة أدوات» لزيادة التفاهم بين السلطات المحلية العربية وهيئات التخطيط المحلية ومؤسسات الحكومة المركزية. يتم ذلك من أجل إنشاء نظام تخطيط مناسب لتلبية الاحتياجات الخاصة للمجتمعات العربية. تقدم الدراسة توصيات عملية لتحقيق مفهوم جديد يلبي احتياجات السكان العرب، مع مراعاة جوهر التخطيط والترخيص وإصلاح البناء.

تعد قضية التخطيط والتطوير في المجتمعات العربية واحدة من المشكلات الرئيسة التي تشغل بال الجمهور العربي في إسرائيل. إنها محور التوترات المستمرة بين إسرائيل ومواطنيها العرب، الأمر الذي يهدد الاستقرار ويعزز الشعور بالعزلة في المجتمع العربي. لطالما كان ينظر إلى سلطات التخطيط في البلاد من قبل الجمهور العربي كسلطة تميل إلى خلق تمييز بين اليهود والعرب من حيث تخصيص الأراضي واستغلال الممتلكات والتخطيط والحقوق الإدارية. في نظر الجمهور العربي، أدت هذه السياسة إلى نقص حاد في الأراضي في السلطات المحلية وتزايد ظاهرة البناء دون تصريح بسبب النمو السكاني وتوسيع احتياجاتها.

إصلاح نظام التخطيط والبناء في السنوات الأخيرة، قامت الحكومة الإسرائيلية بتشجيع الإصلاح الشامل لنظام التخطيط والبناء، والذي انعكس في التعديل ١٠١ والتعديل ١٠٤، والذي يشير بالتحديد إلى القطاع العربي. كجزء من هذه التعديلات، تم نقل صلاحيات وزير الداخلية في مجال التخطيط والبناء إلى وزير المالية، بهدف تكييف هيكل وإدارة العقارات والتخطيط لمواجهة نقص المساكن في البلاد، كجزء من التعديل ١٠٣. تهدف التعديلات إلى تسهيل اتصال السكان بسلطات التخطيط من خلال اللامركزية وإعادة توزيع سلطات التخطيط بين اللجان واللجان المحلية، مع توسيع وتقوية القدرات المهنية للجان المحلية. هذا من أجل تمكين إجراءات التخطيط المعجلة وتحسين الخدمة للمواطن. تضمنت هذه التعديلات التعديل ١١٦ على قانون التخطيط والبناء، والذي كان يهدف إلى زيادة إنفاذ ومعاقبة البناء غير القانوني والتعامل مع انتهاكات هذا القانون وغزو الأراضي العامة في البلاد، بما في ذلك في المجتمعات العربية (قانون كامينيتز). في الوقت نفسه، تم اتخاذ خطوات لتحسين تنفيذ الإصلاح بين المجتمعات العربية: كجزء من الموافقة على ميزانية الدولة للسنوات ٢٠١٦-٢٠١٥، تم اعتماد توصيات الفريق لمدة ١٢٠ يومًا، والتي أوصت، في جملة أمور، بإطلاق سراح السلطات المحلية العربية من لجان التخطيط المحلية وإنشاء لجان تخطيط محلية منفصلة، القوى العاملة والفكر من جانب إدارة التخطيط. يضاف إلى ذلك القرار الحكومي رقم ٩٢٢ المؤرخ ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥، الذي وافق على تخصيص ١٥ مليار شيكل على مدى خمس سنوات للتنمية العامة للسكان العرب، والتي تشمل قرارات مفصلة وتقدمية في مجال التخطيط والإسكان.

تركزت مشكلة تنفيذ الإصلاح بين المجتمعات العربية في الإمكانات الكامنة في منح المسؤولية والسلطة للسلطات المحلية في مجالات التخطيط والبناء في إطار الإصلاح، مع زيادة عمليات المشاركة العامة، وافتراض أن الإصلاح يمكن تنفيذه بنجاح في السلطات المحلية المنشأة اقتصاديا واجتماعيًا، لكن عدد هذه السلطات صغير ولا تتجاوز سلطتين صغيرتين بين ٨٥ سلطة محلية عربية. على النقيض من ذلك، فإن لدى معظم السلطات المحلية العربية عوامل هيكلية واقتصادية واجتماعية تعرقل تحقيق الإصلاح لصالح تعزيز التخطيط والبناء فيها. لذا فإنّ محاولة تنفيذ الإصلاح في المجتمعات العربية تواجه العديد من الصعوبات، لأن معظم السلطات المحلية العربية غير مستعدة لذلك. هناك أيضا شكوك بين قادة المجتمع العربي ورؤساء السلطات المحلية حول مسألة ما إذا كان الإصلاح يعكس تغييرا منهجيا يهدف إلى إحداث تغيير حقيقي في الوضع الحالي. وهكذا، على سبيل المثال، تعتبر مهمة إنشاء لجان التخطيط والموافقة المحلية الآن عبئًا على معظم رؤساء البلديات العرب بسبب الافتقار إلى القوى البشرية المهنية الكافية لموظفي هذه اللجان وعدم وجود ميزانية لتمويل تأسيسها وتشغيلها بشكل صحيح. من ناحية أخرى، ينظر إلى زيادة التنفيذ ومعاقبة البناء غير القانوني على أنه مرسوم لا يمكن للجمهور العربي الالتزام به. نتيجة لذلك، هناك توتر بين الحكومة المركزية والحكومة العربية المحلية، مما يؤثر سلبًا على مشاعر المجتمع العربي تجاه إسرائيل وسلطاتها. ويصاحب هذا التوتر اتهامات متبادلة، من المرجح أن تؤدي إلى تفاقم العلاقات بين الأغلبية والأقلية.

كان الغرض من هذه الدراسة ذا شقين: تحليل العوائق التي تواجه تنفيذ الإصلاح العام بين السلطات المحلية العربية في إسرائيل، واقتراح نهج تفاضلي شامل يمكن تكييفه مع مجموعات مختلفة من المواقع وفقًا لموقعها الجغرافي وحجمها وحالتها الاجتماعية والاقتصادية. الافتراض والأمل هو أن المفهوم المقترح هنا يمكنه تلبية الاحتياجات على أرض الواقع، وبالتالي المساهمة في تحسين العلاقات الإشكالية بين الأقلية والأغلبية في إسرائيل. على الرغم من اللامركزية في نظام التخطيط، تتحمل إسرائيل المسئولية الشاملة عن هذه القضية

الحيوية، حيث تواصل السيطرة على موارد الأراضي وعمليات التخطيط وتقسيم المساحة الجغرافية. لا يتوقع من رواد الأعمال من القطاع الخاص أن يعملوا من تلقاء أنفسهم في المجتمعات الطرفية الصغيرة والمتوسطة الحجم وأن يقودوا عمليات التخطيط والتطوير؛ لذلك، تتحمل إسرائيل مسئولية تنفيذ مبدأ العدالة التوزيعية على أساس التوزيع العادل والمتساوي لموارد التخطيط بطريقة تلبي احتياجات المجتمعات القائمة على قيم المساواة، التي تأخذ في الاعتبار التنوع الثقافي والاجتماعي والهيكلي لمختلف الفئات في المجتمع الإسرائيلي. من الواضح أن هذا المبدأ يجب أن يطبق أيضا على المجتمعات العربية، التي تشكل جزءا كبيرا من المناطق في الفئة المحيطية.

لذلك يوصي الكتاب بأن يتم اتخاذ الإجراءات التالية:

١- سيتم صياغة إصلاح تفاضلي وخريطة ذات أولوية، يتم فيها تحديد مجموعات المجتمعات التي ستتلقى موارد تخطيط فريدة من شأنها أن تمكنهم من تطوير وحل مشكلاتهم في استخدام الأراضي.

٢- سيتم تشكيل لجنة فرعية بجوار المجلس الوطني للتخطيط والبناء، والتي ستعمل على تعزيز الخطط للمجتمعات العربية خلال فترة عامين (على غرار لجنة تعزيز المناطق المفضلة) من الاتحاد السوفيتي السابق في أوائل التسعينيات).

٣- سيعزز إعادة توزيع موارد الأراضي من خلال: ١) تعديل وتوسيع نطاق السلطات المحلية العربية ٢) توسيع الخطط الرئيسة ٣) تنظيم نزاعات الملكية مع الاعتراف بحقوق المواطنين الذين هم أصحاب الممارسة العرفية في مجتمعاتهم، بما في ذلك إعادة الأراضي أو تقديم تنازلات مع المالكين.

٤- سيتم إنشاء فريق مشترك بين الوزارات بمشاركة العرب واليهود من أجل إعداد خارطة طريق لتنظيم قضية الأرض والتخطيط. وستحدد خارطة الطريق تقسيم المساحة وتوثيقها من وجهة نظر التخطيط والإدارة والملكية. وقد يؤدي ذلك إلى تسريع الموافقة على مخططات التخطيط المكاني المفصلة في المجتمعات العربية وتلبية الاحتياجات الحيوية للسكان.

٥- سوف ندمج العرب في نظام التخطيط في ضوء استعداد ورغبة الجمهور العربي للمشاركة في نظام التخطيط. وهذا يتطلب الاختيار المناسب وتدريب المهنيين العرب.

٦- سوف تعزز إدارات التخطيط والهندسة في السلطات المحلية. لهذا الغرض، يقترح إنشاء لجنة خاصة في كل سلطة محلية، مع تفكيك جميع لجان التخطيط

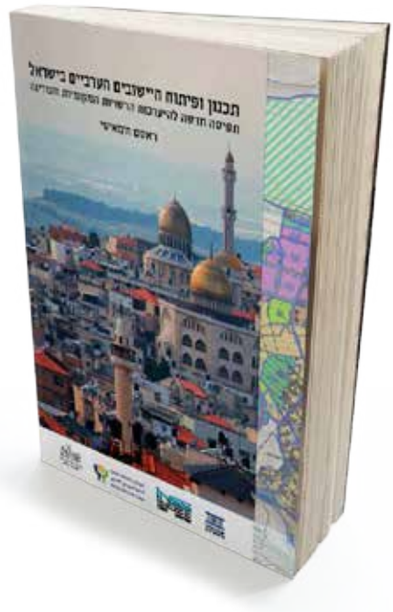

الإقليمية؟ والتي ستكون بمثابة لجنة التخطيط والبناء المحلية. ستكون هذه اللجنة هي الأساس للحصول على استقلال التخطيط وستقود التخطيط المحلي بمساعدة إدارة تخطيط المناطق. يقترح أن يقوم الفريق المشترك بين الوزارات المذكور أعلاه (في القسم ٤) بصياغة صلاحيات هذه اللجنة وأساليب عملها ونظام الإشراف المطلوب بموجب القانون.

٧- للبناء دون تصريح: من المستحسن أن تنتقل تدريجيا من شاشات النظام إلى تطوير النظام. توضح مراجعة تقارير اللجان العامة التي درست البناء دون تصريح في المجتمعات العربية أن هذه الظاهرة نشأت بشكل أساسي بسبب عدم التوافق بين التخطيط واحتياجات السكان. وقد تفاقمت هذه المشكلة لأن الخطط التي تم إعدادها لم يتم الترويج لها وتنفيذها بالسرعة المناسبة ولم تخلق حلول سكن مناسبة. في السنوات الأخيرة، تم إنشاء وحدات الإشراف للتعامل مع البناء دون تصريح. قررت اللجنة العامة برئاسة نائب المستشار القانوني (كامينيتز، ٢٠١٦) أنه ينبغي زيادة الرقابة والعقاب كأدوات أساسية لسن القانون وقرارات نظام التخطيط.

٨- في موضوع التعديل لقانون ١١٦ التخطيط والبناء، الذي صاحب توترات حادة بين الجمهور العربي وإسرائيل، اقترح السعي للتوصل إلى اتفاق بين الحكومة والقادة العرب (لجنة المتابعة العليا ولجنة رؤساء البلديات العربية) بدون تصريح في المجتمعات العربية، على أساس سياسة التنفيذ في إطار الإصلاح. إلى أن يتم اعتماد قرارات اللجنة العامة، واقترح النظر في الحد من هدم المباني دون تصريح، وفقًا للتقدم المحرز في عمل اللجنة العامة والتنفيذ التدريجي لقراراتها، بحيث يكون هناك صلة بين التحسن في جهد التخطيط وإجراءات التنفيذ.

يمثل الإصلاح الذي وضع في نظام التخطيط والبناء، والذي يتضمن تطبيق اللامركزية على السلطات للهيئات الخارجية ومستويات الحكومة المحلية، خطوة إيجابية وهامة يمكنها تبسيط وتقصير العمليات وتحسين جودة الخدمات المقدمة للمواطن. ومع ذلك، من أجل تجنب تنفيذ الإصلاح الذي يشحذ الفجوات ويخلق الغربة بين السكان، يجب تكييف مكونات الإصلاح كحل مخصص لكل مجموعة سكانية، وخاصة السكان العرب.

النهج المقترح هنا يتطلب تغيير المواقف تجاه المجتمع العربي. كما أن تطبيقه له آثار بعيدة المدى على التخطيط والتطوير المكاني والوظيفي في إسرائيل بشكل عام، وتطبيقات المجتمعات العربية بشكل خاص. قد يؤدي تنفيذ التوصيات إلى زيادة الثقة بين المجتمع العربي والمؤسسات الإسرائيلية والسلطات المحلية العربية وإحداث التغيير اللازم في تنفيذ إصلاح التخطيط والبناء في المجتمعات العربية.

إنّ استمرار الوضع الحالي لن يحل المشاكل الصعبة لاستخدام الأراضي في المجتمعات العربية. سوف تستمر في عرقلة التطور المطلوب لدمج الأقلية العربية في الاقتصاد. إن زيادة التطبيق، دون تغيير غلاف التخطيط لن يؤدي إلا إلى تفاقم الصعوبة وزيادة تعقيد العلاقات بين الأغلبية والأقلية. وتعتبر التوصيات المقترحة هنا أساسية لتعزيز الهدف المتمثل في دمج خُمس مواطني إسرائيل في العمل المشترك من أجل الرخاء الاقتصادي للبلاد. تحقيقًا لهذه الغاية، من الضروري تعميق الاعتراف بأنّ المواطنين العرب جزء لا يتجزأ من المجتمع. يجب أن تمكنهم الدولة من أن يكونوا شركاء كاملين في العمل ومساعدتهم على المشاركة في إنشاء وإدارة المساحة العامة التي يعيشون فيها، مع الاعتراف بتنوعهم العرقي والثقافي.

---

الكتاب: تخطيط وتطوير المجتمعات العربية في إسرائيل - مفهوم جديد للسلطات المحلية والدولة

المؤلف : راسم خمايسى

الناشر : معهد دراسات الأمن القومي بتل أبيب

تاريخ النشر: مايو ٢٠١٩

عدد الصفحات:١٩٤

اللغة : العبرية

*** أكاديمية مصرية**

# الشرق الأوسط .. من الداخل
# كارولين رولانتس

سعيد الجريري *

لقد تغيرت خلال العشر السنوات الماضية صورة الشرق الأوسط بشكل كبير، فبينما كان الصراع الإسرائيلي الفلسطيني مركزاً تقليدياً للأحداث، يبدو أن هناك استبدالاً بأحداث أخرى قد تمّت، مثل الحرب الأهلية السورية. ولعلّ أحدث صراع متصاعد الآن هو في منطقة الخليج والجزيرة العربية، حيث تنظر إسرائيل وعدد من دول الخليج إلى إيران باعتبارها الخطر الأكبر، إلى درجة أن هناك تحالفات جديدة تتشكل على نحو غير مسبوق، كدعوة رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو إلى تحالف عربي إسرائيلي ضد إيران هذا العام. فهل لهذا الخوف من إيران ما يبرره؟ وهل إيران قوة عظمى توسعية حقاً، تسعى إلى مد نفوذها إلى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر؟ تساؤلات كهذه تندرج في سياق اهتمام الصحافة والأوساط الثقافية، فضلاً عن الدوائر السياسية الأوروبية عامة والهولندية خاصة، بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولقد ازداد الاهتمام أكثر منذ ما عرف بثورات الربيع العربي، في تونس ومصر وسوريا وليبيا واليمن وتداعياتها محلياً، وتأثيرها على العالم ولاسيما الجوار الأوروبي.

ويأتي كتاب «الشرق الأوسط.. من الداخل» للهولندية كارولين رولانتس في هذا السياق، مكتسباً أهميته، واهتمام القارئ الهولندي به من كون المؤلفة مشتغلة وخبيرة بقضايا الشرق الأوسط ومشكلاته وأزماته منذ أكثر ثلاثين عاماً، محررة لشؤونه في صحيفة NRC Handelblad ذات الشعبية الواسعة. فضلاً عن أنّ للمؤلفة أربعة كتب سابقة، كان أولها «العراق خلف الكواليس، أهلاً بأمريكا إلى مقبرتها» ٢٠٠٧ (بالاشتراك مع الصحفي الهولندي توماس إردبرينك)، والثاني «إيران خلف الكواليس، الملالي والفتيات» ٢٠٠٨، والثالث «المملكة العربية السعودية، الثورة التي لمّا تأتي» ٢٠١٣، والرابع «ثورة أم جملة وهمية؟ هل سيُحدث الربيع العربي شيئاً؟» ٢٠١٤.

يتألف الكتاب من عشرة فصول بعد المقدمة: مصلح أم طاغية؟ - إيران الخبيثة - صراع ديني أم تنافس بين قوتين كبريين - الحرب العالمية في سوريا - التطرف والخلافة - الحرب الخفية في اليمن - تحديات الديمقراطية وحقوق الإنسان - إسرائيل والحل الفلسطيني - الربيع العربي وما نتج عنه - وأخيراً المرأة، آخر فصل في الكتاب مثلما هو حالها دائماً، كما تشير المؤلفة في المحتوى.

كانت صلة المؤلفة مبكرة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي له دور رئيس في العلاقات بين الشرق الأوسط والغرب، من حيث كون إسرائيل حليفاً مهماً للولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية، من جهة، ومن حيث كونها جذاماً سياسياً في المنطقة العربية - باستثناء الدولتين المجاورتين مصر والأردن اللتين أبرمتا في وقت لاحق سلاماً بارداً- في ظل عدم حصول الفلسطينيين على حقهم في إقامة دولتهم على كامل أراضيهم بما فيها المحتلة في حرب ١٩٦٧.

تلك نقطة محورية، تقول المؤلفة، لكن كل ذلك تغير بالتزامن مع وصول الملك السعودي سلمان بن عبدالعزيز إلى سدة الحكم في يناير ٢٠١٥ الذي دفع بنجله المفضل محمد إلى ولاية العهد، باعتباره الرجل الأقوى في المملكة، الذي جذبت إجراءاته الكثير من الاهتمام الإيجابي ولا سيما خطته الإصلاحية الاقتصادية والاجتماعية الطموح ٢٠٣٠ - بعيداً عن النفط - وقراره السماح للسيدات السعوديات أخيراً بقيادة السيّارات، بعد منع وتحريم بخلفيات سياسية ودينية. لكن هناك وجهاً آخر سلبياً لابن سلمان هو شنه الحرب الكارثية في اليمن، وتفجر الصراع مع قطر وخروجها من تحالف الحرب الذي أنشأته السعودية لمواجهة الحوثي ذراع إيران في المنطقة، ووضع سعد الحريري رئيس وزراء لبنان رهينة، وإعلانه الاستقالة من الرياض، من جهة، وسجنه كل منتقدي نظامه وإجراءاته الجديدة، من الأمراء وكبار رجال الأعمال والمفكرين ورجال الدين من جهة أخرى، فضلاً عن شبهة مسؤوليته عن مقتل الصحفي الناقد جمال خاشقجي في القنصلية السعودية في أسطنبول. لذلك فقد أفردت المؤلفة الفصل الأول لابن سلمان ولم تجعله للمرشد الأعلى الإيراني من حيث تصورها أن ولي العهد السعودي أكثر إثارة كونه لاعباً جديداً، يوصف بالتهوّر أحياناً، ويسعى لهزيمة إيران باعتبارها المهدد الأكبر لاستقرار الشرق الأوسط، الموصوف بالمتدني أصلاً. إلا أنّها ترى أنّ النظام الإيراني، وعلى الأقل الفصيل الأكثر راديكالية فيه، يريد المشاركة في النضال من أجل النفوذ في المنطقة، ليس كثيراً في اليمن، ولكن بالتأكيد في سوريا، حيث يحافظ على بقاء نظام بشار الأسد بدعم روسي مباشر. غير أن أهداف إيران، في تصورها، ليست هجومية من حيث المبدأ، ولكنها لتوسيع نفوذها. فهي دفاعية عن نظامها الإسلامي الشيعي ومصالحه، ضد أعدائه جميعاً، في محيط إقليمي خطير للغاية، وفي الواجهة الأولى، بطبيعة الحال، المملكة العربية السعودية، ومن خلفها، أولاً وقبل كل شيء، «الشيطان الأكبر» أمريكا وحليفها الاستراتيجي في المنطقة إسرائيل.

وتناقش المؤلفة في فصل مستقل التنافس بين إيران والسعودية، وهو سابق لوصول ولي العهد السعودي إلى واجهة الحكم، فخلفيته تمتد إلى عام ١٩٧٩الذي شهد انتصار ثورة الخميني، وخشية دول المنطقة من فكرة تصدير الثورة الإسلامية، وما نتج عن ذلك من مواجهات أبرزها وأكثرها كارثية الحرب الإيرانية العراقية ١٩٨٠-١٩٨٨، التي تحالفت فيها المملكة ودول الخليج مع نظام صدام حسين في العراق، قبل أن ينفض التحالف بدخوله الكويت عام ١٩٩٠ ثم اشتعال حرب الخليج وتداعياتها على استقرار المنطقة، حتى إسقاط نظام صدام، والاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

وتشغل المؤلفة كثيراً تعقيدات الحروب في كل من سوريا واليمن، بشكل متزايد على مر السنين. فبقدر ما كان الأمر يبدو بسيطاً في سوريا من حيث تعلقه ببقاء بشار الأسد، وهو ما تم، إذ لم يسقط كالرؤساء العرب الآخرين في تونس ومصر وليبيا واليمن، لكن التحدي القوي هو أن السلام الحقيقي بات بعيد المنال، في الوقت الحالي. هذا هو التبسيط لأجزاء المشهد، لكن ماذا حدث في الثماني السنوات الماضية، فضلاً عن الدمار والخراب المادي والنفسي، والنزوح والتهجير وتدفق اللاجئين إلى أوروبا؟ لقد نشأت الجماعات المتمردة مثل الفطر، وازداد تطرفها بدعم أجنبي، ونشأت دولة الخلافة (داعش)، ثم تم سحقها بجهد دولي موحد، ولقد برزت روسيا مرة أخرى كقوة عالمية بموازاة أمريكا التي بدأت تنسحب من المشهد العالمي منذعهد باراك أوباما ثم رونالد

ترامب. لكن الحرب في سوريا لم تكن حرباً سورية محلية لإسقاط النظام، كما في تونس مثلاً، ولكنها كانت، كما ترى المؤلفة، حرباً عالمية سورية في نطاق ضيق miniveld.

وفي اليمن لم تكن الحرب منفصلة عن الصراع الإقليمي، والتنافس الإيراني - السعودي على النفوذ في المنطقة ولاسيما الممرات الملاحية الدولية كمضيق هرمز في مدخل الخليج وباب المندب في مدخل البحر الأحمر، ثم تداعيات ذلك الصراع وتحولاته، وتضخم كرة الدم المتدحرجة، بدءاً بسيطرة الحوثيين على عاصمة اليمن صنعاء بتواطؤ من قبل عدو الأمس، الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح وحزبه والألوية العسكرية العائلية التي تدين له بالولاء، ثم التدخل السعودي لقيادة تحالف دعم شرعية الرئيس عبدربه منصور هادي، واتساع رقعة الحرب، وتفجر الأزمات كالصراع اليمني (شمالاً - جنوباً). ولوضع القارئ في صورة المشهد وخلفياته، فقد أضاءت صفحات من تاريخ الصراع منذ حرب الملكيين الزيديين (الأئمة آل حميد الدين الهاشميين أجداد الحوثي) والجمهوريين (الثوار) في الستينيات، وتدخل مصر عبدالناصر للقتال في صف الجمهوريين، ودعم السعودية للملكيين الذين تقف الآن ضدهم، ثم توقف الحرب باتفاق بين جمال عبدالناصر والملك فيصل بن عبدالعزيز، بعد تكبد مصر خسائر فادحة، كانت من أسباب هزيمة ١٩٦٧ بحسب بعض قراء المشهد آنذاك.

وتعنى المؤلفة بتطرّف ما تسمى بالدولة الإسلامية، وتحاول الإجابة عن سؤال من أين تأتي هذه الدولة الإسلامية؟ ومن أجل ذلك فهي تنظر إلى أجزاء الصورة والمشهد في كلياتها، وتفاعلاتها وتداخلاتها، فتحضر القضية الفلسطينية، قضية العرب المركزية كما توصف في الأدبيات السياسية المعاصرة، التي أصبحت غير قابلة للحل في الوقت الحالي بسبب اليمين الإسرائيلي، وحالة الانقسام الفلسطيني، فضلاً عن التقارب بين إسرائيل وعدد من الدول العربية. الأمر الذي يلقي بظلاله على طبيعة تصور الحل ومن ثم إمكانية تحققه. فمثلا: ماذا بقي من حل الدولتين القديم والموثوق به من قبل الجميع؟ تتساءل المؤلفة.

ويحظى ما سُمّيَ بـ «الربيع العربي» بأهمية في الكتاب، رغم فشله، من حيث إن الوضع في بلدانه الأساسية: تونس، ومصر، وليبيا، مقلق، فهذه البلدان تشكل الفناء الخلفي لأوروبا، بكل ما يترتب على ذلك، كالهجرة واللجوء على سبيل المثال. لكن المؤلفة تضع تساؤلات

مهمة من قبيل: لماذا خرجت تونس بشكل ديمقراطي؟ ولماذا تحولت مصر إلى ديكتاتورية العسكر؟ ولماذا أصبحت ليبيا دولة فاشلة؟ وما الاحتمالات والمآلات؟

وتعرّج المؤلفة على الديمقراطية وحقوق الإنسان، بالإشارة إلى مصر كمثال، ونفاق الغرب بالنظر إلى التعامل مع مقتل خاشقجي، بما في ذلك ما تسميه «غسيل الرياضة والفنون»: ممارسة إهدار الأموال في دول الخليج العربي الغنية على وجه الخصوص، لشراء الاحترام من خلال شراء متحف اللوفر (الإمارات)، أو إخفاء انتهاكات حقوق الإنسان وراء سباق الجائزة الكبرى للفورمولا (البحرين)، أو إحياء المغنية العالمية ماريا كيري والـ دي جي تيستو حفلة موسيقية (المملكة العربية السعودية)، على سبيل المثال.

أمّا المرأة في الشرق الأوسط فقد أفردت لها المؤلفة فصلاً، قاربت فيه المشهد، بتناقضاته وتداخلاته، وسلبياته، وما له من إيجابيات وتباينات من بلد عربي إلى آخر، ومكانة المرأة في المجتمع ودورها السياسي والاجتماعي، ومدى الحرية المتاحة لها في مجالات التعليم والوظيفة العامة، غير بعيد من تأثير الخلفيات الدينية والاجتماعية والذكورية التي لها الهيمنة بالمجمل في المجتمع العربي، على تفاوت في الدرجة.

يستعرض الكتاب على نحو ضاف مفصل مستقص إلى حد بعيد أبعاد المشهد السياسي في الشرق الأوسط، ولعل مما يميزه أن المؤلفة خبيرة راصدة مشتغلة بالشأن السياسي هناك، فهي تقدم مادة مهمة للقارئ الهولندي الراغب في معرفة موثقة عما يحدث وخلفيات التطورات السياسية وترابطها سواء في علاقات الدول البينية، أو في علاقاتها بأوروبا وأمريكا. لكن مما يلحظ على الكتاب أن المؤلفة تعتمد أحياناً على المتداول في الصحافة، حيث تتعدد الروايات، أو يتم توجيهها وفق هيمنة إعلامية لأطراف بعينها ضد أخرى، فتغدو المواد غير الدقيقة أو المعتمدة على رأي طرف دون آخر أشبه بالحقائق التي تتعامل معها المؤلفة، فتبني عليها آراء أو تحليلات معينة ليست بالضرورة أقرب إلى المصداقية مع الواقع وتجلياته. ولعل ذلك مما يمكن تسويغه بشكل أو بآخر بالنظر إلى تعقيدات المشهد في الشرق الأوسط، وضعف مهنية الإعلام وتفاوت مستوياته من بلد إلى آخر. لكن الكتاب يمثل مادة موسوعية تبدو بعض فصولها أغنى من مؤلفات عربية وأثرى، وأقرب إلى الموضوعية والمصداقية في مقاربة المشهد. ولعل لذلك علاقة برؤية الأحداث من الخارج بمسافة كافية تضمن الحيادية إلى حد بعيد.

ولعل مما يلفت القارئ غير الهولندي أن المؤلفة لم تكتف بالنظر والتحليل الصحفي، وهي تخوض في فصول شائكة، بل كانت تكشف عن تقييم ما لمجريات الأحداث، ولاسيما الخروج من سكونية الأنظمة وبناها التقليدية سياسياً وإحداث تغييرات جوهرية أو ذات أهمية استثنائية سواء ما كان منها بفعل الثورات، وحركة الجماهير في بلدان معينة، أو ما كان منها استجابة لرغبات التغيير من قبل ذوي القرار في بلدان أخرى.

«الشرق الأوسط.. من الداخل» إضافة حقيقية إلى ما أنجزته كارولين رولانتس عن المشهد العام وتحولاته واحتمالاته ومآلاته في هذه المنطقة المهمة والقلقة من العالم التي تمور بأحداث ساخنة وحروب مستمرة، من جهة، وهو من جهة أخرى إضافة قيمة إلى المؤلفات المهمة عن الشرق الأوسط، في المكتبة الهولندية المعاصرة، من حيث ما اعتمدته المؤلفة من وثائق ومصادر ومراجع شاملة، اجتهدت في توظيفها وتدقيقها، فضلاً عن كونها تصدر عن خبرة طويلة في الخوض في كثير من التفاصيل التي مكنها اشتغالها الطويل بشؤون الشرق الأوسط من الإحاطة الوافية بأغلب أطرافها.

---

الكتاب: الشرق الأوسط .. من الداخل
المؤلف: كارولين رولانتس
الناشر: بروميثيوس، أمستردام ٢٠١٩
اللغة: الهولندية
عدد الصفحات: ٢٧٢

*** باحث زائر في معهد هيغنز للتاريخ الهولندي**

# تاريخ الحيوانات فلسفة
# أوكسانا تيموفيفا

محمد الشيخ *

يحكى عن الفقيه ابن القويع أنه كان إذا رأى أحدًا يضرب كلبًا أو يُؤذيه يخاصمه وينهره ويقول له: «أَمَا هو شريكك في الحيوانية؟» والحال أنه من «الشراكة» بين الإنسانية والحيوانية، انتقل بعض مفكرة العرب إلى حد تفضيل «الحيوانية» على «البشرية» في بعض الأحايين؛ فكان أن ألف ابن المرزبان كتابه الفريد من نوعه: «تفضيل الكلاب على الكثير ممن لبس الثياب». لكن، دعنا نتساءل، بدءا، ما معنى أن يكون البشر للحيوان «شريكا في الحيوانية»؟

«الشراكة في الحيوانية»: تلك هي قضية هذا الكتاب الجديد. وهو من تأليف أستاذة علم السياسة والاجتماع بالجامعة الأوروبية بسان بترسبورغ وباحثة في معهد الفلسفة بأكاديمية العلوم بروسيا، ومن تقديم الفيلسوف السلوفيني الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في العقدين الأخيرين سلافوج زيزيك الذي وصف الكتاب بأنه «كتاب رائع»، وبأن صاحبته تدعونا إلى القبول بحيوانيتنا. أو بحظ الحيوانية منّا وفينا. بما لا يعني «الأوبة إلى جذور الحيوانية» و«الاستمتاع الحر بنزواتنا الجنسية» أو شيء من هذا القبيل، وإنما يعني التصالح مع «الحيوانية» ذاك الذي رفضته الميتافيزيقا التقليدية والثقافة المسيحية إذ عارضت معارضة مانوية بين طبيعة الإنسان «الإنسانية» وطبيعته «الحيوانية».

ولقد أصاب زيزيك في توصيفه للكتاب. فهو رحلة مُمتعة في عالم الحيوانية وفي تمثلات الإنس لهذا العالم: من الحيوان المقلد للإنسان (أرسطو وحصانه) إلى الحيوان الخارج على القانون (دريدا)، إلى الحيوان البريء، فالحيوان المجنون (العصر الوسيط)، والحيوان المريض (هيجل)، والحيوان الشّغيل (كوجيف)، حيث الشغل كرامة عند الإنسان وليس كذلك عند الحيوان، فإلى الحيوان المخملي (باتاي) ...

تعلن المؤلفة، بدءا، أنها لا تدعي التفرد بأطروحة جديدة في شأن تصورات الفلاسفة للحيوانات، وإنما سوف تستهدي بمن سبقوها إلى التنبه إلى مشهد الحيوانات في الفلسفة. وتقترح النظر إلى تاريخ الفلسفة من حيث هو تأريخ للحيوانات. ولهذا ترسم معالم تاريخ الفلسفة على ضوء قضية الحيوانات هذه. فبعد سيادة فلسفة ديكارت، وموقفها المعروف من الحيوانات، ها هي «فلسفة الحيوانية» أمست تدور على مسألة التفكير في كيف نفكر في الوجود الحيواني. ونحن نفترض، أصلاً، أن ليس من شأن الحيوانات أن تفكر، أولا، ولا من شأنها أن تفكر في ذاتها، تبعاً. على أنه حدث، أخيرا، توافق بين الفلاسفة على أننا لا نتناول الحيوانات كما هي، وإنما حسب تمثلاتنا عنها. أكثر من هذا، صير إلى الاعتقاد بأن «الحيوان» لا يوجد، وكل ما يوجد إنما هو «تصوراتنا عنه» ... هو ذا معقد الكتاب. طيور الضفة الغربية العابرة للحدود في تقديم الكتاب، تذكر المؤلفة كيف أنَّها في شهر دجنبر من عام ٢٠١٥ كانت قد زارت رام الله، بالضفة الغربية، حيث شاركت في ندوة عن الفيلسوف الألماني اليهودي فالتر بنيامين، وكانت الأراضي المحتلة قد أحيطت بسور «بشع رمادي»، بحيث إن الداخل إليها أو الخارج منها لا بد من أن يمر عبر نقطة تفتيش. وتذكر أنها وهي تغادر رام الله، عبر النقطة التفتيشية قلنديا، لمحت طائرا يطير فوق الجدار غير عابئ به. وفجأة تتذكر أنَّ المخطوطة الأولى لهذا الكتاب الذي بين أيدينا كانت قد أعدت قبل ذلك بثلاث سنوات، وأنها لما كانت بصدد كتابة فقرته الختامية كانت لا تزال صورة الحيوان الذي يُعبر الحدود في ذهنها صورة مجردة، ولم تكن قد خطرت ببالها أبدا أية صورة مشخصة أو مثال ملموس عن أي حيوان يعبر الحدود .. لكن ماجريات التاريخ وحدها حملتها بالصدفة، في تلك اللحظة وفي ذاك المكان، لكي تكون شاهدة على ذاك الطائر «الجريء» وهو يعبر الحدود ... و«تاريخ الحيوانات»: عنوان استلهمته المؤلفة من كتاب لأرسطو يحمل الإسم ذاته. وقد استملته عن قصد: ذلك أنها تستهدف في هذا الكتاب أن تطرح للنظر ما الذي تعنيه سمة «الحيوانية» من الناحية التاريخية؛ أي كيف تجمع الحيوان بالتاريخ والتاريخ بالحيوان. ذلك أن ثمة رأيا متداولا على نطاق واسع يرى أن الحيوان لا تاريخ له، وهي ترد: بلى، إن للحيوانات تاريخا، على الأقل من حيث أنها شكلت قوى عمل. وتفند أساس هذه الدعوى القائم على نزعة إنسية ترى أن للإنسان وحده «ذاتية»؛ إذ لما كان يفترض أن «الذاتية» هي صانعة التاريخ والفاعلة فيه، فإن الإنسان وحده يصنع التاريخ، أما الحيوانات فلا «ذاتية» لها؛ ومن ثمة لا «تاريخ» لها. لكن أطروحة الكاتبة مركبة: لا فصل بين «ذاتية الإنسان» و«ذاتية الحيوان» بل هما متصلتان. أكثر من هذا، لا «فضل» لأحداهما على الأخرى.

ما الذي يمكن للفلسفة أن تقوله عن الحيوانات؟

ثمة موقف مشترك للفلاسفة من الحيوان متمثل في ما أقاموه من تراتبية بين الكائنات وتفاضلية. ومن أقدم هذه التفاضليات ما كان ارتآه أرسطو من أن «الحيوانات» «أفضل» من «النباتات»، و«البشر» «أفضل» من «الحيوانات»، و«الرجال» «أفضل» من «النساء»، و«المواطنون الأحرار» أفضل من «العبيد»، وهكذا دواليك ... وذلك لا لأن ما هو «أدنى» «أسوأ»، وإنما لأن ما هو «أسمى» «أعرف» بالأفضل. تلك صورة بقيت رائجة حتى لدى المدافعين عن حقوق الحيوانات وعن تحريرها حيث يقرون بعلو الطبيعة البشرية على الطبيعة غير البشرية، كما لو كانت هذه تحتاج إلى مساعدتنا واحترامنا ودعمنا واعترافنا. ولا كما اعتقدوا، فمن شأن الحيوانات ألا تهتم باهتمام البشر بها ... نحن نضحي بها، نسوقها إلى المذابح سوقا، نستغلها، نمرنها، نقحمها في سيرورات إبداعية، ونمنحها حقوقا ووثائق. لكنها تبقى غير مبالية (وهذا لا ينطبق على الحيوانات الأليفة التي يتعلق معيشها ومعاشها بالبشر).

على أن المؤلفة ما كانت مستلهمة لكتاب أرسطو . تاريخ الحيوانات . وحده، بل استلهمت كتاب «تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي» لفوكو (١٩٦١)، وكتاب «تاريخ الشبقية» لباتاي (١٩٥١). وحاصل تلك الاستلهامات «فيلة ثلاثة» أقامت المؤلفة على ظهرها كتابها. وبالنظر إلى إرث فوكو، وفي ما يخص موضوع «الجنون»، كان هذا قد قال بأن للحيوانية حقيقتها الجوانية، وهي حقيقة تنجلي في حدود «ما هو إنساني». إذ «الحيوانية» هنا هي المرآة الأخرى للإنسان التي لا نفكر فيها . نحن معشر البشر . ولا يمكن التفكير فيها. وحسب المحلل النفساني «لاكان»، فإن من شأن نظر الإنسان إلى المرآة أن يجعله يتملك صورته عن نفسه من حيث ما هو إنسان في صورة خارجة عن ذاته. لكن، ما الذي يمكن أن يحدث لو كان الحيوان هو الذي يوجد خارج المرآة، عندها يكون على الإنسان أن يتعرف على ذاته وفي نفس الوقت لا يمكنه أن يفعل ذلك. وإذ يقرأ «دريدا» من جديد «لاكان»، يذكر أن اللغز الحقيقي يمكن العثور عليه لا في الكائن البشري وهو يتطلع إلى انعكاس صورته في المرآة، بقدر ما في الحيوان الذي يتطلع إلى الإنسان. وإن هذه اللعبة . لعبة الجوانية والبرانية، والاحتواء والإقصاء . لتشكل ضربا من الآلية سماها الفيلسوف الإيطالي المعاصر «أغامبن» «الآلة الأنتربولوجية» التي شأنها أن تقيم حاجزا بين الذات والغير .الذي هو الحيوان. وتعلق المؤلفة بأن هذه الآلة المرآوية بأنها قد اشتغلت في اتجاهين: اتجاه التعرف على ما يميز الإنسان، واتجاه فساد التعرف على ما يميزه. لقد تعرف الإنسان على ذاته من خلال الحيوان، لكن انشطر شطرين وبقيت المرآة عالقة بين الإنسان وسواه، وحدث انشراخ في ما بينهما البين.

ولئن كان «أغامبن» قد دعا إلى إيقاف هذه الآلة الإنسانوية، فما تريده المؤلفة أمر أكثر تواضعا . أن تجد موقعا يجعل الآلة تشتغل على نحو مختلف. وهذا لا يعني أنها لا تنتقد البراديغم الإنسانوي القديم، الذي يفضل الإنسان على الحيوان باللسان والوعي والعقل تفضيلا، ولكن تريد أن تبرز أنه بقدر ما يسعى الإنسان إلى تجنب السقوط في فخ «الإنساني/المعيار»، فإنّه يسقط فيه سقوطا ... ولذلك ترى أن علينا النظرة إلى الأمر نظرة جدلية: لا ينبغي أن ننظر إلى أنفسنا بوفق عقيدة الهوية الصلبة، فنرى أنفسنا كائنات بشرية مواجهة للكائنات الحيوانية بوسمها أغيارنا.. إذ أفضل سبيل لتحقيق الذات هو الأوبة إليها، لكن بعد رحلة الغربة..

في كل فصل من فصول هذا الكتاب الثمانية، تنطلق المؤلفة من صورة «إنسية» عن الحيوان، تمثل لها بفيلسوف، ثم تبرز مفارقات تلك الصورة على ضوء تاريخ الفلسفة والأدب والفن ... والحال أن هذا كتاب في المفارقات بحيث إن كل فصل منه يتناول مفارقة بطلها سمة «الحيوانية». ونحن ننتقي منها ههنا نماذج بالنظر إلى ضيق الحيز:

### المفارقة الأولى:
### الحصان الأكاديمي

تورد المؤلفة مثال الحصان الذي ذكره أرسطو في كتابه عن الحيوانات والذي «اقترف خطيئة زنا المحارم»، فكان أن تردى من عَلِيٍّ قتلا لنفسه. هل يمكن للحيوان أن ينتحر كما يفعل الإنسان؟ يذهب العلماء الوضعيون إلى أن القول بذلك تشبيه للحيوان بالإنسان، لكن المؤلفة تؤكد أنَّ في هذا الموقف إدانة للحيوان على أنه غير قادر على الوعي بحياته؛ بما يعكس نزعة إنسانوية هي ما تجنبه هؤلاء العلماء فسقطوا فيه ورأوا أن أوديب لا يمكن أن يكون حصاناً. لماذا؟ هذا ما ينكره العلم الطبيعي والقانون، لكن الفن والأدب يتصوره؛ إذ حتى لئن ثبت أن الأحصنة لا يمكن أن تنتحر، فقد وُجد واحد على الأقل فعل ذلك. تشي هذه الحكاية أن هنا الإنسانية تقود حرباً ضد الحيوانية، وأن الحصان الأرسطي يتبنى موقف الإنسان. يا له من إنسان شديد الإنسانية !

### المفارقة الثانية:
### الحيوان الخارج عن القانون

ألا كم ما كان من السهل اتخاذ الحسم في أمر مَنْ ذا الذي ينبغي أن يكون أكثر إنسانية: الإنسان أم الحيوان! مثلا اتهام خنزير، في العصور الوسطى، بدهس صبي حتى الموت: أفي ذلك جريمة حقا؟ وبالتالي، هل يساق الخنزير إلى الساحة العامة ليقطع رأسه، أم يدافع عنه بالقول إن الخنزير لا يمكن أن يدان لأنه فاقد للذكاء والخلق، وأنه لا يخضع إلى القانون؟ ألا كم أقيمت من المحاكمات في العصور الوسطى للحيوانات! من وجهة نظرنا اليوم، تبدو هذه المرافعات عن الحيوانات هوجاء، بينما بدت للمدافعين الإنسيين مفهومة. لكن، ألم يحدث داخل منطق ثقافة الحداثة نفسه سوق الحيوانات

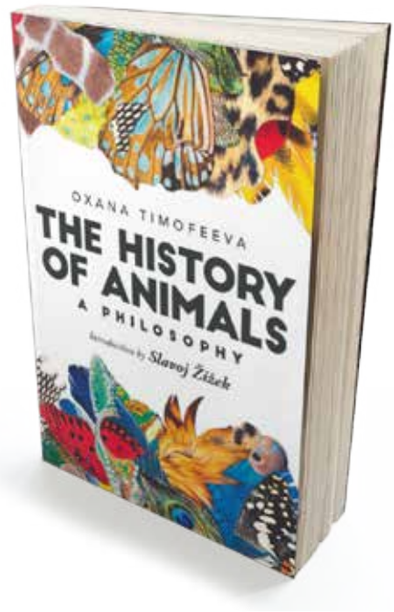


سوقا إلى المجزرة؟ وبالمقابل، ما الذي جعل المسيحيين يلقون العظات على الطيور كأنها بشر، ثم يبرؤوها من الخضوع إلى القانون؟

### المفارقة الثالثة:
### الموت بداية الوعي

يرى هايدجر أن عالم الحيوان عالم فقير: عالم محدود جدا بين طريدة وفريسة، لكن باتاي يرى فيه عالم انطلاق وحرية. وحرية الحيوان تكمن عنده في سيادته وفي محايثته. خذ، مثلا، السمكة في الماء، فإنها حين تنتقل إلى الساحل تصير سمكة ماركسية، لكن حين تبقى في ماء النهر تموت بالسموم. وضعها هنا كوضع البروليتاريا، لا تحيا إلا في الشغل والشغل يهلكها، إلا أنه بينما البروليتاريون يمسون ثوريين لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا في مائهم، فإنه يكون على السمكة أن تموت على الشاطئ لكي تحتج على التلوث!

### المفارقة الرابعة:
### الرأسمالية المتوحشة والخوف من المتوحش

ضد خلفية العقل الكلاسيكي الذي لم يثبت ذاته إلا عبر الإقصاء الجذري لكل ما لا يلائم ما تسميه المؤلفة «النظام البورجوازي الجديد»، تشير الفيلسوفة إلى أن أحد مهمشات هذا العقل التي عادة ما لا ينتبه إليها . هي الحيوانات. لقد أقصت الرأسمالية «المتوحش» إقصاء. لكن، تتساءل المؤلفة، من هو المتوحش؟ ومن يخشى المتوحش؟ مَن يخشى مَن: الرأسمالية المتوحشة تخشى التوحش؟ أم الحيوانية تخشى التوحش وتخشى الرأسمالية؟ ذلك أنه في إقصاء الرأسمالية للجنون وللفقر، بالمعنى الفوكوي، إقصاء للحيوانية ذاتها. لكن، ما العمل اليوم بعد بداية إعادة الاعتبار للفقر . مديح البساطة الطوعية . وللجنون . للجنون فنون اليوم؟ وما العمل إذ بدأ يقل تمجيد العقل ذاك التمجيد الذي كان عند بداية الحداثة؟ يحدث الأمر كما لو أن البشرية الرأسمالية تحققت من أن الإقصاء غير ممكن، ومن أن الجنون والفقر والحيوانية وجدوا دوماً، بحيث مهما نحن حاولنا إخراجهم يعودون.

### المفارقة الخامسة:
### غربة الذات ذات الغربة

لئن حق أن لا ذات إلا وما صارت ذاتا سوى باغترابها عن نفسها وأوبتها إلى ذاتها، كما علّمنا هيجل ذلك، فإن المؤلفة تذهب إلى أن هذا الأمر أولى أن ينطبق لا على «ذاتية الإنسان» . كما ركز على ذلك هيجل . وإنما على ما تسميه «ذاتية الحيوان». هو ذا ما تشترك فيه كل الحيوانات. بما في ذلك الإنسان. وقد قادتها قوة الإنكار أو السلب. ذلك أنه وفق منطق الهُوَهُويَّة . الشيء هو هو . يترافق فعل الاحتواء بفعل الإقصاء (مثلا نمنح لبعض الحيوانات حقوقا ولا نمنحها لأخرى)، بينما منطق الهُوَسَويَّة . «الهوية» «هوية و«سوية» أو هي «ذاتية» و«غيرية» . منطق احتوائي إدماجي بالتمام والكمال. وفق المنطق الأول . منطق الإنسانية . نحن بشر لا حيوانات، ووفق المنطق الثاني . نحن بشر وحيوانات معًا. وكما قال هيجل فإن الحيوان بموته فينا يحيا، كما الإنسان بموته يحيا.

### المفارقة السادسة:
### الوجود العيني والوجود الظلي

لا يطابق الخطاب البشري المتفائل حول تحرير الحيوانات في زمن الحداثة واقع الحال، ولا مجال لتحقق نبوءة المحدثين بحصول الحيوانات في النهاية على حقوقها. إنما حاضر الحيوانات مأساتهم . تجارة الحيوانات، سفريات التفرج على الحيوانات. وتستشهد المؤلفة بكتاب جون بيرجر . «لماذا النظر إلى الحيوانات؟» (٢٠٠٧) . الذي يصرح فيه: «خلال القرنيين الأخيرين، أخذت الحيوانات تنقرض شيئا فشيئا». وقد قرن ذلك بظهور حديقة الحيوانات التي تشي بمظهر من مظاهر هيمنة الثقافة الرأسمالية؛ إذ إن عددا كبيرا من الحيوانات ولى تاركا البشرية تعيش على مجرد «تمثلاتها» عن هذه الحيوانات؛ أي على صحبة الحيوانات الأليفة وعلى لعب الحيوانات للأطفال. لقد بات وجود الحيوانات وجودا ظليا لا عينيا، وشبحيا لا حقيقيا. وإذ انسحبت الحيوانات من عالمنا اليومي، أمست أشباحها لا تظهر إلا في الفنون وفي النظرية وفي الثقافة البصرية؛ أما في الفلسفة فما عادت الحيوانات فقط أشباحا وإنما أمست ضيوفا.

---

الكتاب: تاريخ الحيوانات – فلسفة
المؤلف: أوكسانا تيموفيفا
دار النشر: بلومسبوري أكاديميك
اللغة: الإنجليزية
سنة النشر: ٢٠١٨

*** أكاديمي مغربي**

# رقص التريليونات: الدول النامية والتمويل العالمي
# ديفيد ليوبين

**عبدالله بن محمد المحروقي ***

صدر كتاب "رقص التريليونات: الدول النامية والتمويل العالمي" في عام ٢٠١٨م. يتحدث الكتاب عن تدفق رؤوس الأموال من الدول المتقدمة إلى الاقتصادات الصاعدة (الدول النامية) والعكس. السؤال الرئيس الذي يناقشه الكتاب هو: ما الذي يجعل رؤوس الأموال تتدفق من الدول المتطورة والغنية إلى الدول النامية وما الذي يجعلها تغادر الدول النامية مرة أخرى. مؤلف الكتاب هو ديفيد ليوبين، وهو زميل مساعد بمعهد تشاثام هاوس Chatham House، المعهد الملكي للشؤون الدولية بلندن، ومدير عام قسم الأسواق الناشئة في بنك سيتي الأمريكي. وقد قسَّم ليوبين كتابه إلى مقدمة وخمسة فصول، وأخذ اسم الكتاب من أغنية "رقص الملايين"، وهي أغنية مشهورة أُنتجت وصفا للانتعاش الاقتصادي الذي تمتعت به دولة كوبا في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

استهل الكاتب المقدمة بذكر قصة تدفق رؤوس الأموال إلى كوبا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى نتيجة ارتفاع أسعار السكر وخفض الاحتياطي الفدرالي الأمريكي لسعر الفائدة؛ مما دفع البنوك الأمريكية والمستثمرين الأمريكان للبحث عن بدائل استثمارية أخرى لتحقيق عائد أكبر. تدمير مزارع السكر في أوروبا في الحرب العالمية الأولى كان له دور أيضا في انخفاض العرض العالمي للسكر وبالتالي ارتفعت أسعار السكر في كوبا وازدهر الاقتصاد الكوبي. وما إن رفع الاحتياطي الفيدرالي سعر الفائدة الاسمي للسيطرة على التضخم، حتى شرعت ملايين الدولارات في العودة إلى الولايات المتحدة على الرغم من أن أسعار الفائدة الحقيقية لا زالت أقل من ٠٪. ونتيجةً لذلك عانت كوبا أزمة اقتصادية بسبب التدفقات المالية الكبيرة التي هاجرت منها عائدة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك نتيجة تعافي إنتاج السكر في أوروبا بعد استصلاح مزارع السكر عقب الحرب العالمية الأولى. وبعد مضي قرن من هذه الحادثة لا زال الاقتصاديون يتساءلون: كيف يمكن للدول النامية أن تتفاعل مع سوق رأس المال العالمي بطريقة تبعث على النمو والاستقرار بدلا من جعلها عرضة للتقلبات والأزمات كما حدث لكوبا؟ يتتبع الكاتب كيف تغيرت الإجابة عن هذا السؤال خلال الخمسين عاما الماضية، وكيف يمكن أن تتطور الإجابة عن هذا السؤال في المستقبل. ثم تحدث الكاتب عن العولمة، وقد عرفها بأنها ازدهار حركة انتقال السلع والخدمات والبشر والأموال بين دول العالم. وكيف استفادت الدول النامية من العولمة؛ حيث أنه ذكر أن مصطلح الأسواق الناشئة ما كان ليظهر لولا تكامل أسواق السلع والخدمات والأصول بين دول العالم. ثم تطورت العولمة من كونها ظاهرة اقتصادية لتصبح فلسفة (From Globalization to Globalism). والعولمة كفلسفة هي النظرة التي ترى أن التكامل الدولي بين أسواق رأس المال، والسلع، والخدمات، والأيدي العاملة هو بلا شك أمر جيد.

**ما الذي يجعل رؤوس الأموال تتدفق إلى الدول النامية؟**

في الفصل الأول من الكتاب (Enter Finance) ، ذكر ليوبين كيف تمتعت الدول المصدرة للنفط الخام بفوائض مالية ضخمة نتجية تدفق إيرادات تصدير النفط إلى الدول الصناعية في سبعينات القرن الماضي بعد ارتفاع أسعار النفط عام ١٩٧٣. وقد ساهم ذلك في إعادة توزيع الثروة بين دول العالم. وقد أدَّى هذا التحول العالمي إلى ثلاث صدمات مكَّنت الدول النامية من الدخول إلى سوق رأس المال العالمي لأول مرة منذ الثلاثينات، وهذه الصدمات هي:

تدهور كبير في الميزان التجاري للدول المستوردة للنفط (ارتفاع كبير في قيمة الواردات مقابل الصادرات بسبب ارتفاع سعر النفط عام ١٩٧٣).

ارتفاع معدلات التضخم.

انهيار فكرة الطاقة منخفضة التكلفة المنتَجة باستخدام النفط، وقد كانت هذه الفكرة أحد ركائز الاقتصاد العالمي.

منطقيا كان الحل الأبسط للفوائض المالية الناتجة عن تصدير النفط هو إنفاق هذه الفوائض في شراء سلع من الدول المستوردة للنفط. ولكن هذا لم يحصل؛ لأن حجم هذه الفوائض وعنصر المفاجأة فيها جعل ذلك غير ممكن، فاقتصادات الدول المصدرة للنفط لم تكن لتوستوعب إنفاقا بهذ الحجم في شراء سلع وخدمات من بقية دول العالم. إذن، فالحل هو شراء أصول أجنبية وإقراض الدول التي تعاني من العجز في الميزان التجاري والناتج عن ارتفاع أسعار النفط.

وإذا كان هذا هو الحل، فكيف يمكن تحقيقه؟ ما الطريقة التي يجب أن تتم من خلالها عملية تدفق الفوائض من الدول المصدرة للنفط إلى الدول المستوردة للنفط والتي تعاني من العجز الناتج عن ارتفاع أسعار النفط؟ بعبارة أخرى: كيف يمكن إعادة تدوير البترودولارات (عائدات بيع النفط التي يتم إيداعها في البنوك الغربية)؟ عملية إعادة تدوير البترودولارات يمكن أن تتم عبر طريقتين:

الأولى: أن تتم عملية إقراض الدول المستوردة للنفط بإدارة القطاع العام (الحكومات أو صندوق النقد الدولي).

الثانية: أن تتم عملية إقراض الدول المستوردة للنفط بإدارة السوق (القطاع الخاص)؛ بحيث تستقبل البنوك التجارية فوائض الدول النفطية كودائع، ثم تقرضها للدول التي تعاني من العجز الناتج عن ارتفاع أسعار النفط لسد عجز الميزانية.

ومع بعض الدعم من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية انتصر الاتجاه الذي يرى أن تتم عملية الإقراض بإدارة السوق (القطاع الخاص)، وقد كتب دينس هيلي الذي أصبح وزيرا للخزينة في بريطانيا فيما بعد والمناصر للاتجاه الذي يرى أن تتم عملية إقراض الدول المستوردة للنفط بإدارة القطاع العام: «عارض الأمريكيون ذلك؛ لأن ذلك يعني التدخل في حرية أسواق المال، وكذلك حرية البنوك التجارية الأمريكية في كسب أرباح هائلة من إقراض دول العالم الثالث». الجدير بالذكر أن الاتجاه الذي يرى أن عملية إعادة تدوير البترودولارات يجب أن تتم بإدرة الحكومات أو بإدارة صندوق النقد الدولي كان منسجما مع روح اتفاقية "Bretton Woods"، وهي اتفاقية دولية تمت بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م وقد وضعت الاتفاقية قرارات تدفق رؤوس المال بين الدول بيد الحكومات وليس الأسواق ولا تجار العملات.

من قصة كوبا وقصة ارتفاع أسعار النفط في سبعينات القرن الماضي، يتضح أن ارتفاع أسعار السلع الأولية يجلب الكثير من الأموال للدول النامية. وكذلك تلعب الحالة النقدية (سعر الفائدة والتضخم) في الولايات المتحدة الأمريكية دورا هاما في تحديد وجهة رأس المال. وكلما انخفض سعر الفائدة في الولايات المتحدة الأمريكية، لجأت البنوك الأمريكية إلى البحث عن بدائل استثمارية أخرى ومن أهمها إقراض الدول النامية. وكذلك كلما ارتفع معدل

التضخم في أمريكا، انخفض سعر الفائدة الحقيقي، الأمر الذي يجعل إيداع الأموال في البنوك الأمريكية خيارا عديم الجدوى (في حال كان سعر الفائدة الحقيقي رقما سالبا) أو في أحسن الأحوال قليل العائد.

**إجماع واشنطن**

إجماع واشنطن هو مصطلح استحدثه الكاتب جون ويليامسون في الكتاب الذي حرره عام ١٩٩٠م والذي هو بعنوان "Latin American Adjustment". باختصار يشير هذا المصطلح إلى ١٠ توصيات قدمها ويليامسون لصناع القرار في الدول النامية عن كيفية إدارة الموارد الاقتصادية وكيفية اشراك اقتصاداتها مع بقية العالم. وجاءت تسمية هذه التوصيات بهذا الاسم لكون هذه التوصيات متسقة مع المبادئ التي تؤمن بها المؤسسات الاقتصادية التي تقع في واشنطن كوزارة الخزانة الأمريكية وصندوق النقد الدولي. وتوصيات ويليامسون كانت كالتالي:

تحرير قطاع التجارة.

تشجيع واستقطاب الاستثمار الأجنبي المباشر.

تقليص عجز الموازنة.

إنفاق المال العام بحكمة.

تقليص دور الحكومة في إدارة الموارد الاقتصادية.

دعم حقوق الملكية.

الحفاظ على مستوى منخفض من الضرائب.

السماح للسوق بتحديد سعر الفائدة.

الحفاظ على سعر صرف تنافسي.

تحرير وإلغاء اللوائح والقوانين التي تعوق دخول الأسواق أو تقيد المنافسة.

يُعتبر إجماع واشنطن صورة مختزلة للّبرالية الجديدة "Neo-Liberalism"، وهي -أي اللبرالية الجديدة- الاتجاه الذي يرى أن السوق يجب أن يعطى مسؤولية إدارة الموارد الاقتصادية. يقرر الكاتب أن الكثير يخلط بين إجماع واشنطن وأصولية الحساب الجاري. إن «أصولية الحساب الجاري» "Current Account Fundamentalism" مصطلحٌ استحدثه الكاتب لوصف حالة سماح الدول لجميع أنواع التدفقات بدخول الدولة دون أي قيود. وتشير لفظة أصولية "Fundamentalism" إلى التطرف في تطبيق مبادئ السوق بحيث تكون علاقة الدول النامية بأسواق المال العالمية علاقة غير مقننة، وإنما متروكة بشكل كلي للسوق. وهذا الأمر حسب رأي الكاتب يجعل الدول النامية عرضة للأزمات والتقلبات في السوق العالمية ويجعل حساسيتها كبيرة جدا لما يحدث في الأسواق الخارجية، كما حدث لكوبا في عشرينيات القرن الماضي، وقد تمت الإشارة إلى ذلك.

على الدول النامية أن تفتح أبوابها فقط لتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر حسب رأي ويليامسون. ولكن ما الفرق بين

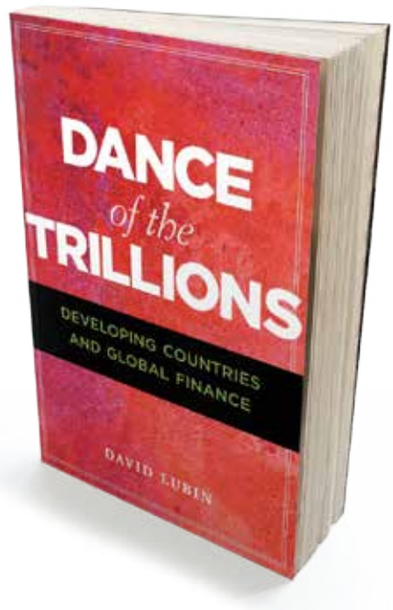


تدفقات الاستثمار المباشر والتدفقات المالية الأخرى؟ الفرق بين تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر وبين التدفقات الأخرى كالتدفقات الناتجة عن بيع السندات هو السيولة ومعناها سرعة خروج هذه التدفقات من الدولة. فتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر تعتبر أطول أمدا ولا يمكن أن تتدفق إلى خارج الدولة بسهولة استجابة لتغيرات الأسواق الخارجية.

**نحو إجماع بكين**

يذكر الكاتب أن الولايات المتحدة الأمريكية حولت هيمنتها الاقتصادية إلى هيمنة فكرية، وأثرت في الفكر الاقتصادي العالمي؛ بل شكلت الولايات المتحدة الأمريكية العولمة لتتناسب مع قيمها ولتخدم مصالحها. ولكن مع التقدم الاقتصادي للصين، بدأت الدول النامية بالتأثر بالطريقة الصينية في الإدارة الاقتصادية. ويرى الكاتب أن النظام المالي العالمي يتحول من إجماع واشنطن إلى إجماع بكين. ولكن كيف سيكون شكل النظام المالي العالمي بعد هيمنة القيم الاقتصادية الصينية؟ على الأقل ستتغير موازين القوة بين الحكومة والسوق، فالنظام النقدي الدولي الذي تسيطر عليه الأسواق الحرة حيث أسعار الصرف العائمة وحسابات رأس المال المفتوحة لا يتناسب مع الذوق الصيني. وقد عبَّر تشو شياو تشوان محافظ البنك المركزي الصيني عن الرؤية الاقتصادية الصينية بما سماه "Managed Convertibility" قابلية التحول المدارة أو التحول المدار، حيث تفرق الصين بين تدويل رأس المال وتحرير رأس المال. فالصين لا تقبل دخول جميع أشكال تدفقات رؤوس المال دون تمييز، وتفرق بين الاستثمار الأجنبي المباشر والاستثمارات التي يكون الغرض منها المضاربة والاستفادة من تقلبات الأسعار. من وجهة نظر الصينيين أن الكلمة الأخيرة في تحديد التدفقات المالية المرغوبة من غيرها هي لصناع القرار وليست للسوق.

**ما الذي يجب أن تفعله الدول النامية؟**

السماح للدول النامية بدخول سوق المال العالمي ليس أمرا سيئا، لأن ذلك يسمح لها بتمويل مشروعاتها وبالتالي تحقيق النمو الاقتصادي. ولكن عليها أن تعد اقتصاداتها للتعامل مع التقلبات في الأسواق العالمية وتحسن من جاهزيتها لاستقبال الصدمات. وفي هذا الصدد يقدم الكاتب درسين للدول النامية:

- الدرس الأول: على الدول النامية أن تجمع كميات كبيرة من احتياطيات العملة الأجنبية، وذلك لبيعها في حال الأزمات، عندما تتدفق رؤوس الأموال إلى الخارج. وبالتالي تحقيق الاستقرار لاقتصاداتها.

- الدرس الثاني: على الدول النامية أن تتجنب سياسات أسعار الصرف الثابتة؛ لأن ذلك يخلق وهما بأنه لا توجد مخاطر على العملة.

**ستيجلتز وإجماع واشنطن**

يرى الخبير الاقتصادي المخضرم جوزيف ستيجلتز (حاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد) أن إجماع واشنطن ليس شرطا للنمو وأن ثمة دولا (مثل بوليفيا) اتبعت توصيات إجماع واشنطن وانتظرت لتقطف ثمارها، ولا زالت تنتظر. وفي المقابل لم تتبع الصين توصيات إجماع واشنطن ومع ذلك شهدت نموا مطردا.

**الكتاب والهيمنة الأمريكية**

اتسم الكتاب بوضوحه وسهولة أسلوبه. وبالرغم من أنه لا يحوي أي رسم بياني أو جداول كعادة الكتب الاقتصادية، إلا أنه نجح في إيصال فكرته وشرحها بوضوح تام.

تروي بعض أدبيات نظرية المؤامرة مقولة للملياردير اليهودي جاكوب روتشيلد: «سنجعلهم يسرقون أموال شعوبهم ليودعوها في بنوكنا ثم نعيد إقراض شعوبهم من أموالهم»، تشبه هذه المقولة إلى حد كبير عملية تدوير البترودولارات، لكن لا نستطيع أن نجزم بأن ثمة علاقة بين الأمرين نظرا للغموض الذي يكتنف البنوك والاحتياطي الفدرالي من حيث ملكيتها.

يدرك الجميع أن الولايات المتحدة الأمريكية متحكمة بشكل كبير بالاقتصاد العالمي، وليس أدل على ذلك من كون الدولار العملة الأولى عالميا والعملة المستخدمة في مؤشرات أسعار السلع العالمية كالنفط والذهب، ولكن القليل من يعرف كيف يتم ذلك عمليا. في الواقع، يوفر الكتاب قاعدة نظرية لإثبات مقولات الهيمنة وكتابات نظرية المؤامرة.

---

الكتاب: رقص التريليونات: الدول النامية والتمويل العالمي
المؤلف: ديفيد ليوبين
الناشر: The Brookings Institution Press
سنة النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ١٤٧

*** كاتب عماني**

# إصدارات عالمية جديدة

**آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية**
**(سعيد بوكرامي)**

الكتاب: الاقتصاد السمعي البصري الجديد
المؤلف: ألان لو ديبيردر
الناشر: دار لاديكوفيرت.فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٩
عدد الصفحات: ١٢٨ ص
اللغة: الفرنسية.

اليوم يستقبل الشباب وحتى الأصغر سناً الوسائط والمحتويات الرقمية الجديدة بحماس كبير ومنها اليوتيوب والنيتفليكس وديزني وغيرها مما يسمى التلفزيون الجديد، والتلفزيون الأفضل.

تعيد هذه العروض هيكلة النظام السمعي البصري بأكمله. لقد فقد مجال الإعلانات عشرة آلاف وظيفة في السنوات الأخيرة، والقنوات التجارية الخاصة لا تبلي بلاء حسناً، وبعض الدول الأوروبية تتساءل عمَّا إذا كانت لا تزال بحاجة إلى تلفزيون عام، وتخشى السينما الفرنسية مثلاً من أن السنوات القادمة ستكون عجفاء. ولا يقوم النيتفليكس بعرض أفلامه في القاعات السينمائية، ومع ذلك يحصل على جوائز في أنحاء العالم جميعه، باستثناء مهرجان كان.

كيف وصلنا إلى هنا؟ ما هي الآليات الخفية التي تدفع هذا العالم السمعي البصري الجديد؟ في الوقت الذي يبتعد فيه دونالد ترامب أمريكا عن أوروبا، حيث ينتج استهلاك الفيديو كمّا هائلاً من البيانات الشخصية التي تغادر إلى الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، كيف نفعل كي لا نفقد الحرب الإعلامية الخاطفة كلياً؟ في الوقت الذي تخاطر غالبية وسائل الإعلام الأوروبية بالخضوع تماماً للهيمنة الأمريكية.

الكتاب: أركيولوجيا الصحة، أنثروبولوجيا الرعاية
المؤلف: ألان فرومون، هيرفي غي
الناشر: دار لاديكوفيرت.فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٩
عدد الصفحات: ٣٠٠ ص
اللغة: الفرنسية.

لطالما كانت ممارسة الرعاية والحفاظ على الصحة مصدر قلق كبير لجميع المجتمعات البشرية، منذ أول المنظمات الاجتماعية وإلى يومنا هذا، في جميع القارات. يسمح النهج الأثري والأنثروبولوجي المعتمد في هذا الكتاب بتتبع، على مدى عشرات الآلاف من السنين، الطريقة التي تمكنت بها الجماعات البشرية من إدراك أنواع الأمراض والإعاقة والرعاية. منذ عصور ما قبل التاريخ إلى الحقب المُعاصرة، يحكي الكتاب أيضًا عن تنوع الممارسات، لأنَّ كل مرض يتوافق معه علاج محدد المعايير الاجتماعية والخيارات السياقية.

هذا الكتاب هو ثمرة تعاون مُتعدد التخصصات بين علماء الآثار وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء الأحياء والمؤرخين الذين يسألون، في إطار منهج اجتماعي وبيولوجي مزدوج، مسألة الرعاية والصحة على مستوى الأفراد والجماعات.

الكتاب: ميراث الأنوار
المؤلف: أنطوان ليلتي
الناشر: دار غاليمار.فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٩
عدد الصفحات: ٤١٦ ص
اللغة: الفرنسية.

يعرف فكر الأنوار بأنه سلاح لمواجهة ومحاربة الفكر المتزمت والمنغلق، هذه المعركة تحتاج فقط إلى التحديث كي يعيش تقدما فكريا وتقنيا إلا أن الليبرالية السياسية والعالمية المنفصلة عن قيم الأنوار تغلق شيئا فشيئا منافذ النور وتفضل العتمة لتعميم الثقافة المساعدة على الهيمنة والتبعية والاحتكار.

ومع ذلك، كما يوضح أنطوان ليلتي، لم يقترح الأنوار عقيدة فلسفية متماسكة أو مشروعا سياسيا مشتركا. من خلال مواجهة مؤلفين بارزين بغيرهم أقل شهرة، يقترح أن نعيد للتنوير تعقيداته التاريخية وإعادة التفكير في ما ندين لهم به، من الأسئلة والمشاكل، أكثر بكثير من مجرد طمأنة جاهزة للتفكير.

يظهر التنوير بعد ذلك استجابة جماعية لظهور الحداثة، التي لا تزال تناقضاتها تشكل أفقنا اليوم. بدءاً من أسئلة فولتير حول التجارة الاستعمارية والعبودية إلى آخر تأملات ميشيل فوكو، بما في ذلك النقد بعد الاستعماري ومعضلات الفيلسوف في مواجهته للجمهور، تقترح ميراث الأنوار صورة متجددة بعمق لحركة ثقافية وفكرية بصمت أثرها على الفكر الإنساني وإلى اليوم.لهذا يجب إعادة اكتشاف هذا الميراث لأنه لن يتوقف عن مخاطبتنا.

الكتاب: نهاية الإنسان: رحلة فيلسوف في بلدان الذكاء الاصطناعي
المؤلف: جاسبارد كونيج
الناشر: منشورات L'observatoire.فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٩
عدد الصفحات: ٤٠٠ ص
اللغة: الفرنسية.

ما هو مستقبل الفرد وحرياته في عصر الذكاء الاصطناعي؟ للإجابة على هذا السؤال الملح، قام جاسبارد كونيج بجولة عالمية من سان فرانسيسكو إلى بكين ومن أكسفورد وواشنطن إلى كوبنهاغن. التقى بأكثر من ١٢٠ أستاذًا، ورجال أعمال، ومفكرين، وسياسيين، واقتصاديين، وفنانين. كما تبرز هذه الرحلة فلسفة حقيقية من الذكاء الاصطناعي. من جهة يبدو الكاتب متحمساً لهذه العوالم الرقمية التي يؤكد الكاتب أنها لا تهدد وجود الإنسان العاقل، كما أن

# إصدارات عالمية جديدة

الروبوتات لن تسرق وظائفنا. من جهة أخرى، يُعلن الكاتب أن استعمال ونشر تقنيات التنبؤ والتلاعب باللوغاريتمات على نطاق واسع، تعتبر تحديا كبيرا للذكاء الاصطناعى وهكذا فإن الذكاء الاصطناعي يعدنا بحقوق دون ديمقراطية، وفن بلا فنانين، وعلم بلا سببية، واقتصاد بلا سوق، وعدالة بلا ذنب... إلا إذا استعدنا السيطرة، بدل هذا التيه الرقمي العالمي من خلال فهم عميق لفلسفة عصرنا. كتاب مهم يعج بالمعلومات والوقائع الحقيقية وحالات عن شخصيات فاعلة في ميدان الذكاء الصناعي مما يساعدنا على فهم الذكاء الاصطناعي فهما أعمق.

**جديد المؤلفات الفلسفية باللغة الإنجليزية**
**آخر الإصدارات الفلسفية ( محمد الشيخ)**

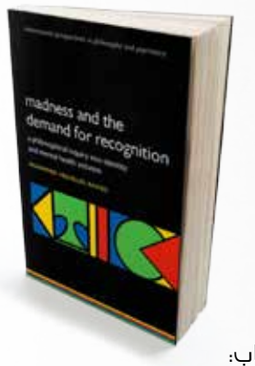


عنوان الكتاب:
الجنون ومطلب الاعتراف: بحث فلسفي في الهوية والنضال من أجل الصحة العقلية
اسم المؤلف: محمد أبو الليل راشد
دار النشر: مطابع جامعة أوكسفورد
سنة النشر: ٢٠١٩
ملخص الكتاب:
يعود الفضل إلى الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو في جعل موضوع "الجنون" موضوعا للنظر الفلسفي. لكن ما كتبه فوكو مر عليه اليوم أزيد من نصف قرن من الزمان ونيف. فما الجديد الذي طرأ في أمر النظر الفلسفي في الجنون؟
يقدم لنا هذا الكتاب جوابا عن هذا السؤال. ذلك أن مفهوم "الجنون" مفهوم شديد التعقيد متعدد المداخل، وقد عرّفته الثقافات البشرية المتنوعة بمختلف التعاريف: من فقد العقل واستبداد سورة العنف، إلى الإبداع والتجرم والانحراف، فإلى الروحانية والحكمة ... لكن في زمننا هذا غلبت المقاربة الطبية العقلية التي تنظر إلى الجنون بحسبانه اضطرابا في الذهن. على أنه تبلورت منذ عقود من الزمن ردة فعل ضد هذا الاعتبار الطبي العقلي الضيق الرابط بين الجنون والمرض والاضطراب، في دلالات كلها قدحية سلبية، كان أبرزها ردة الفعل الثقافية التي ركزت على النظرة الثقافية المختلفة إلى الجنون باختلاف الثقافات إنْ إدماجا أو إقصاء ... أكثر من هذا، ذهبت بعض الاتجاهات إلى رفع مطلب الاعتراف بالجنون أساسا للهوية (نعم نحن قوم مجانين، وبعد!). لكن، هل يمكن للجنون أن يشكل حقا أساسا للهوية؟ وهل يمكن جعل أعراض الجنون من هلوسات وهذيانات وغيرها مطالب لتكوين هوية تنهض كأساس لمطلب الاعتراف؟ وكيف ينبغي للمجتمع أن يجيب على مطلب الاعتراف بالجنون هذا حقا: أبالاستجابة أم بالتنكر أم بالتجاهل؟ هي ذي الأسئلة الفلسفية عن شأن الجنون والمجانين اليوم والتي يحاول المؤلف أن يهتدي بها في كتابه هذا الذي يعد بحق فحصا شاملا في مزاعم ومطالب الاعتراف بالمجنون وبالمجانين. هذا ويصنف الكتاب نفسه ضمن تقليد جديد في الفلسفة هو مبحث فلسفة الطب العقلي والدراسات الجنونية وأدب المنافحة عن الأقليات...

عنوان الكتاب:
عدد السماوات: تاريخ الكون المتعدد والبحث عن فهم الكوسموس
اسم المؤلف: توم سيغفريد
دار النشر: مطابع جامعة هارفاد
سنة النشر: ٢٠١٩
ملخص الكتاب:
هل يوجد كون واحد أم توجد يا ترى أكوان متعددة؟ هذا السؤال الذي يبدو وكأنه ابن وقته لم يتجاوزه إلى غيره من الأوقات، يذكرنا المؤلف، بالضد من ذلك، أنه طرح منذ زمان. ذلك أن بعض العلماء، ومنذ القدم، آمنوا بوجود أكوان متعددة من غير كوننا هذا الذي نحيا فيه، وهي أكوان اعتبروها موازية لكوننا هذا غير مقايسة. وقد حملت هذه الأكوان والعوالم من الأسماء اسم الأكوان المتعددة، أو العوالم المتعددة. وقد بين الكتاب أن هذه الفكرة ما كانت مجرد مروية من بنات الخيال، بل وجد دومًا من قال بها القول. وأهمية هذا الكتاب تكمن في أنه يتقصى أمر هذا القول بالعوالم الأخرى الموازية، وذلك من عهد القُدامى إلى أيامنا هذه؛ أي منذ أرسطو الذي قال إن لا وجود إلا لكون واحد، وتبعه في القول بذلك أقوام منهم كثير من متكلمي وفلاسفة العرب، إلى أسقف باريس الذي أعلن عام ١٢٧٧ أن من الهرطقة الذهاب إلى القول إن الرب لا يستطيع أن يخلق إلا عالما واحدا حسب مشيئته؛ بما أثار نقاشا فلسفيا واسعا حول مسألة "العوالم الممكنة". وقد شهد عصر النهضة نقاشا علميا مستفيضا عن العوالم الممكنة، أعقبه حديث ديكارت عن العدد العديد من "السماوات".. فإلى سنوات الثمانينات من القرن الماضي حيث تجدد النقاش حول العوالم الممكنة إثر بروز نظرية الانفجار الأعظم، واليوم يستمر الجدل، ويثور الحديث عن انفجارات عظمى وليس عن انفجار عظيم واحد.

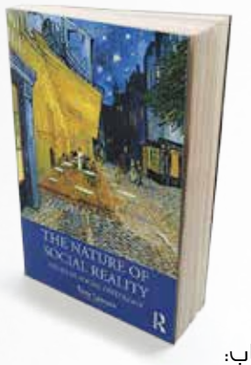


عنوان الكتاب:
طبيعة الواقع الاجتماعي (قضايا في الأنطلوجيا الاجتماعية)
اسم المؤلف: طوني لاوسن
دار النشر: راوليدج
سنة النشر: ٢٠١٩
ملخص الكتاب:
الأنطلوجيا الاجتماعية مبحث فلسفي جديد متفرع عن الفلسفة الاجتماعية، من شأنه النظر في طبيعة وجود الموجودات ـ الكائنات ـ الاجتماعية. وهو مبحث لا زال، مع الأسف،غير معروف، على وجه العموم، في العالم العربي، وذلك على الرغم من أن المسألة الاجتماعية تعد بمثابة أم المسائل في المجتمعات العربية اليوم. وهذا الكتاب يدخل ضمن سلسلة كتب نشرت منذ عقد ونيف في موضوع الأنطلوجيا الاجتماعية اتسمت كلها بسمة الجدة ومنحت للفلسفة، ولا سيما لمبحثها القديم "الأنطولوجيا"، زخما جديدا لم تشهده منذ عام ١٩٢٧ (سنة صدور كتاب "الوجود والزمن" لهايدجر الذي أحيا الأنطلوجيا بعد مواتها). ويحاول الكتاب الذي بين أيدينا الجواب عن المسائل التالية من وجهة نظر أنطلوجية فلسفية واجتماعية: ١- لماذا الأنطولوجيا الاجتماعية؟ ٢- الأنطولوجيا ودراسة الواقع الاجتماعي: تنظيم الجماعة والمجتمع، السلطة الاجتماعية، العلاقات الاجتماعية، التكثلات الاجتماعية، الأشياء الصنعية والمال وعلاقة الناس بهما. ٣- طبيعة الشركات والتكثلات الاقتصادية. ٤- المال والأعمال والقروض ٥- تحرر الإنسان المعاصر والتغير الاجتماعي ... كتاب يغذي الفلسفة بموضوعات جديدة غير مطروقة.

# حالياً في الأسواق..

# مجلة التفاهم

## عنوان العدد: مناهج الصلاح الإنساني ومشكلات الفساد

عبد الرحمن السالمي

### المحـــاور


– **القرآن الكريم: في الإصلاح الإنساني والاجتماعي** – عبد المالك أشهبون

– **الرسالات النبويّة بوصفها إصلاحاً في ضوء الكتاب والسُّنّة** – محمد المنتار

– **السّياسة والسّياسة الشرعيّة في الأزمنة الوسيطة** – رضوان السيد

– **مقولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الصَّلاح والإصلاح** – محمد أحمد قنديل

– **إشكاليّات العلاقة بين التقدّم العلمي والتقدّم الإنساني** – أحمد عبد الفتاح

– **الفلاسفة المعاصرون ودور الدّين في زمن ما بعد الحداثة** – محمد الشيخ

– **مقولات ومقاييس النجاح والازدهار في الدول المعاصرة – قراءة نقدية** – رشيد الحاج صالح

– **المدن بحسبانها مقاييس للاندماج في المجال** – نتاليا زادنوفسكا

– **القِيم الخلقيّة والدينيّة وإشكاليّات الإطلاق والنسبيّة في المجال العالمي** – رشيد جرموني

– **الرؤية التداوليّة عند الفلاسفة المعاصرين وكيفيات تجاوز الجمود الراهن** – محمد أوبلوش

– **المرجعيات السيميوطيقية والإبستمولوجية والأيديولوجية لمفهوم الدولة الفاشلة** مجدي الجزيري


### دراســات


– **التكامل المعرفي بين الفلسفة وعلم الكلام وعلم أصول الفِقه من خلال المفاهيم الرحّالة (مفهوم العِلّة أنموذجاً)** – بلال شيبوب

– **نظرية النَّظْم بين عبد القاهر الجرجاني والحاكم الجشمي** – خالد عمر الدسوقي


### وجهات نظر


– **المؤسسات الدّينيّة والمسؤوليات المشتركة في صَون السِّلْم العالمي** – عبد الرحمن السالمي

– **الثقافة بمنظور إسلامي مختلف** – محمود الذوادي


### آفـــاق


– **التسامح وإرادة الشكّ عند برتراند راسل** – أحمد بوعود


### مدن وثقافات


– **الارتحال والتسامح (القسطنطينية في أعين الرحّالة العرب)** عبد الله إبراهيم


### الإسلام والعالم


– **الصِّراع على دراسات الإسلام في أميركا** إعداد: رضوان السيد

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٢٤٦٤٤٠٣١ – ٢٤٦٤٤٠٣٢ ٩٦٨+ ، فاكس : ٢٤٦٠٥٧٩٩ ٩٦٨+

البريد الإلكتروني : tasamoh@gmail.com - al.tafahoom@gmail.com - www.altafahom.net